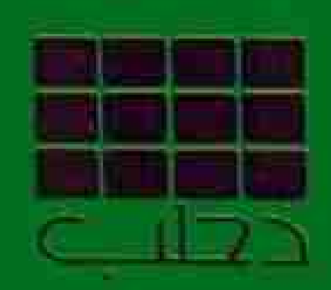


محمود عبدون

شهادة مناضل من الحركة الوطنيّة

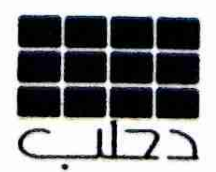


محمود عبدون

شهادة مناضل من الحركة الوطنيّة



هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 50 لعيد الاستقلال



18 شارع دوزي حيدرة الجزائر
الهاتف والفاكس 06 40 69 021
البريد الإلكتروني: editionsdahlab@yahoo.fr
الإيداع القانوني: 563-2013
ردمك : 978-9961-61-263-7

مقدّمة

- بصفتي مناضل قديم فإنّني إرتأيت أنه من الواجب منح مساهمة متواضعة لكتابة تاريخ الحزب الوطنّي، ومن ثمّة لكتابة تاريخ بلادنا.

- لقد كتبت هذه " المذكّرات" دون توفير أي مذكّرة، ولا وثيقة حيث فرضت علينا السريّة التخلّي عن كلّ أثر مكتوب لنشاطاتنا، فلم أعتمد إلاّ على ذاكرتي. وكلّنا يدرك كم يصيب الذاكرة البشريّة النقص، وخصوصا بعد مضي سنوات عديدة.

- وإذا لم أسرد بعض الوقائع فإني أعتذر على ذلك، وأيضا إذا نسيت الحديث على بعض الإخوة لأنّ الأحداث كانت ثريّة جدّا كما كان المناضلون عديدين بقوّة، فذاكرتي هي المسؤولة لوحدها عن هذا الخلل.

- وأشكر السيد، والسيدة دحو، الأستاذين، اللذين ساعداني على تحقيق هذا الكتاب.

تصدير

إنه مسار مناضل سياسيّ من الحركة الوطنيّة، الذي ينطلق من الأصول، أي من نجم الشمال الإفريقي، إلى حرب الإستقلال من خلال حزب الشعب الجزائري – حركة إنتصارات الحريات الديمقراطية، وجبهة التحرير الوطنيّ، فهذا ما يسرده لنا عبدون محمود في "مذكّراته".

إنّها شهادات متوقّدة تعني أكثر من أربع عشريات حاسمة من تاريخ الجزائر المعاصرة، والذي يستحضره عبدون عبر أسلوب وجيز ومباشر، ومن خلال حافظة الشاهد المتحمّس لأنه لاحظ الأزمنة الكبرى للحركة الوطنية الجزائرية كما لاحظها بذاكرة الشاهد الممثل على الخصوص الذي عايشها، وهو في كثير من الأحيان في الصفوف الأماميّة.

إنّ عبدون رجل من رجال الشعب الذي تألّم من أجل تربية نفسه، وتكوينه، وسعيه وراء العيش. وبكونه يتيما فقد أضطر إلى وقف تمدرسه وعمره (12) سنوات، وإلى مغادرة مدينته الصغيرة. دلس، مسقط رأسه ليجئ إلى مدينة الجزائر من أجل ممارسة كل أنواع الحرف المتواضعة. ولقد إستكمل عبدون تكوينه بصفة واعية، حيث إلتهم قراءة الجرائد، والكتب، وخالط نوادي النهضة، وتردّد إلى أوساط الشبّان الرياضيّين. وبصفته مستخدم جدّي، ومثالي إستطاع أن يرتقي في مراتب إدارته. وقد أدى خدمته العسكريّة بصفة عاديّة

غير أنه لمّا يتمرّد عن هذه الخدمة سنة 1944 أثناء الحرب العالمية الثانية يلقى عليه القبض.

وبالنسبة للكثير من الشبان كان عبدون المسيّر الرياضي المخلص فهو ركيزة الفريق الرياضي (المولودية النادي لمدينة الجزائر)، ومنشّط فرع كرة السلّة. ومعنى ذلك كم كان يعرف تاريخ هذا الفريق، ومشاكله، ومفاخره، وإرتقائه، وعلاقاته بالفرق الأوروبيّة، وإلتزامته مع التيار الوطني. ألم يكن اللونان، الأخضر والأحمر من ألوان الأمة.... ؟

إن عبدون لم يكتف بأن يكون فقط أب عائلة طيّبا ومسيّرا رياضيا حيث عمل في ظلّ السرّيّة كمناضل، وإطار وطنيّ الذي لا يعرفه إلاّ بعض الإخوان. وفي سنة 1957 تقدّره الشرطة الفرنسيّة ضمن ترتيبها " كأب هادئ " وشخصا عديم النشاطات السياسية مع أن مسيرته السياسيّة كانت طويلة المدى.

وقد إنتسب إلى نجم الشمال الإفريقي، وأول حزب وطني جزائري كما وضع الخطوط العريضة للنشأة الأولى لهذا الحزب. وبصفته أمين مال لفرع النجم و عمره (23) سنة فقد إقترب من أغلبيّة القادة الذين يصفهم في الإطار البورتري.

وكان في حزب الشعب الجزائري فشارك فيه ضمن هيئته المديرة. ويمنحنا شهادة قيّمة خاصّة بالسنوات ما بين 1927 و 1938، تلك السنوات الثريّة بالأحداث : الإرتقاء التصاعدي لمصالي، وكارسميتيته، والمظاهرات الأولية، والمسيرات، والإعتقالات، والسجون... وقد تابع عن كتب محاولات (كارنا) وهي (المجموعة من المناضلين) التي كانت تبحث على حصول أسلحة بألمانيا وذلك لمحاربة الإستعمار الفرنسيّ. وشاهد سنة 1943 نشأة أول جريدة سريّة، وطنيّة، جزائرية

" لاكسيو ألجيريان" (النشاط الجزائري)، كما ساهم سنة 1944 في إعادة تكوين حزب الشعب الجزائري، وفيما بعد حضر إجتماعات إطارات الحزب وخصوصا سنة 1945.

وقد كان من جملة مناضلي حزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطيّة. وشارك في مؤتمر فيفري 1947 الذي عرف قرار تكوين المنظمة الخاصّة وبجانبها (حزب الشعب الجزائري السريّ)، وقرار إعتبار حزب حركة إنتصار الحريات (كحزب شرعي)، والمنظمة الخاصّة (كمنظمة مسلّحة). وبكونه مناضل القاعدة فكلّف بمختلف المهام، فهو يدلي إلينا بمذكرات ثمينة حول بعض المسؤولين، وأيضا حول أزمة الحزب عشية أمس 1954.

وقد كان منخرطا في جبهة التحرير الوطني بمدينة الجزائر حيث كلّفه فيها بن خدّة بالماليّة، وبتنظيم ضرائب جبهة التحرير الوطنيّ. وتعرّض مرّتين للإعتقال من طرف الشرطة الفرنسيّة فعرف التعذيب، والسجون، ومخيم الإيواء.

وحين الإستقلال رجع عبدون إلى الخدمة : في مصلحة الأملاك أين له فيها دارية متفوّفة، وللرياضة، وتنظيم المالية، والشؤون الإجتماعية. وسنة 1965، صار رغم أنفه، رئيس مجلس ولاية مدينة الجزائر.

ومن خلال هذا المسار السيّاسي الخاصّ بالحركة الإستقلالية فإن عبدون يعطينا شهادة قيّمة. إن المؤرخين يأسفون – ليس لوحدهم فحسب – لعدم كتابة تاريخ الماضي من طرف المناضلين البواسل، ومسؤولي هذه الحركة المجيدة، وأيضا الشعب، والقراء من شباب هذا البلاد يعترفون له بالجميل إزاء هذه الشهادة البسيطة والمتواضعة.

محفوظ قدّاش

طفولة مجتهدة

أنا من مواليد 1913 بدلس، وهي ميناء صيد صغير يقع على بعد (100) كلم شرق مدينة الجزائر، فالأحياء حول الميناء، والدواوير المعلّقة بالجبل الذي يحيط بالمنظر فإنّها تكوّن هذه البلدة من قرابة 30.000 ساكنا.

إن الأسطورة تقصّ أن بني — ثور — أولاد الثيران — قد غرسوا قرون ثور من أجل تحديد دوارهم. هذا ما يفسّر تسميتهم. وكان الدوار الثاني ضيعة بني سلييان، وهي ساكنة تتكلّم بالأمازيغية. وأمّا الباقي من سكّان الناحية فهم معرّبون.

وزيادة على القبائل (الأمازيغيين) الذين كانوا قليلين يوجد هناك جاليتان تتقاسمان المدينة وهما : الأتراك كأقلية، وأهل الأندلس.

وإذا لم يبرز أي مشكل يفقد التناسق بين هؤلاء السكّان المتنوّعين فبالعكس كان كره المعربين نحو بين — سلييان، وكلّ القبائل (الأمازيغية) بصفة عامّة، شديدا حينذاك. إن المصاهرة مع أمازيغيّ أو حتى مشاركته في الجوار لم تكونا بالأمر المستحسن.

إنّ هذا النبذ ليس بخاصية دلس حيث كان يسود بين المعاشر المتنوعة في كلّ جهات البلاد. وقليلا فيما بعد، ولمّا هاجرنا إلى العاصمة لقد وجدت ذلك التصرف لدى أهل السّكان المدنيين بالجزائر في علاقاتهم مع أهل بسكرة الذين أثناء بحثهم عن العمل بمدن الشمال قد تخصّصوا

في بيع الماء من أجل إستعماله في الحاجيات المترلية فكانوا يستطعون أن يدخلوا المساكن دون أن تستر النساء وجوههنّ على سبيل اللزوم ممّا يدلّ ذلك على قلّة التقدير الممنوحة إياهم.

ولحسن الحظ فقد زالت هذه العقلية مع حرب التحرير الوطني.

وكان يعيش بنو– سليان من حصاد الزيتون، والبلوط، والتين الجافة. وأمّا بنو – ثور إختصّوا في زراعة الحبوب، والبستنة، فالنشاط الأساسي الخاصّ بالمدنيّين ينقسَم بين التجارة، وصيد السمك، والبستنة. ولا يوجد بالمدينة أسرة تتفوّق عن الأسر الأخريات بالثروة أو الشرفية، فكلّ الأسر كانت نسبيّا ميسورة الحال، وعلى وجه الخصوص الأسر التي تتعاطى التجارة.

وبعض الأسر على الأقّل كانت ميسورة بالقدر الكافي فإنها تملك إقامتين : إقامة بالمدينة لفصل الشتاء من أجل تمدرس الأطفال، وإقامة أخرى لفصل الصيف " بالجنّة " في ضواحي المدينة. إنّ " الجنّة " كانت مشهورة، وكثيرة الرغبة بفضل حدائق ثمارها، وخضرواتها، وكذلك أرضية أزهارها، ويسمينها. ولقد تكوّن حي آخر حول منارة " بن قوت " الذي يسمّى " برج الفنار ". إنّ هذه المنارة كانت أهمّ المنارات بالقطر الجزائري في صنفها. وقد بنيت أثناء الحرب العالمية الأولى لتثبيط نشاط الغوّاصات الألمانية التي هدّمت عدة بواخر الحلفاء في هذا المكان.

ولقد شدّ إنتباه مخيّلتي حادث أثناء صغر سنّي. إنّه تحليق منطاد فوق دلس. وعلى غرار كلّ أولاد الجيران تسلّقت شجرة لأتأمل من أعلاها بصفة مليّة المنطاد الموجّه.

إنّ شعورًا وطنياً قد وجد بدلس على الدوام فهو عميق غير أنه قليل التعبير وأتذكّر دائما الحفلة الكبيرة التي أقامتها الساكنة سنة 1922 أو

1923 للأمير خالد. وقد جاء يجمع الأموال لبناء مسجد بباريس، فهذه الفكرة الوطنية صمدت، وعرفت تعميقا مع تأسيس فرع نجم الشمال الإفريقي سنة 1936، وهو أول فرع في القطر الجزائري، ولعلّه أهم الفروع نظرًا لعدد مناضليه، ونوعيتهم.

وفي بداية سنة 1913 تسلّمت فروع عائلتي من ناحية الأم، والأب رخصة الهجرة إلى سوريا التي كانت حينئذ تحت السلطة التركيّة. وأعضاء تلك الفروع كانوا تجارا. وفي الشهر الأول من السنة 1914 تأزّمت الحوادث بالبلقان فصارت الحرب وشيكة الوقوع. وقرّرت الحكومة الفرنسيّة إذ ذاك وقف الهجرة نحو الشرق الأدنى. وفي هذا التاريخ بالذات قد باعت الأسرتان كلّ ممتلكاتهما. ولحسن الحظ لمّا كانت العلاقات سائدة في المجتمع تيسرت إستعادة الآراضي، والحدائق، والبناءات، وهو الشيء الذي سمح بتخفيف المشاكل.

وقبل سنة 1885 يطلق على آل عبدون تسميات بن عبدون، وأهل الأندلس، وحاج عمار. وحين وصول دور الأخوين، حاج عمار، وصالح بن عبدون فيما يخص إعطاء إسم عائليّ ذهبا إلى دار البلدية، فصرح جدّي الأبويّ لموظّف الحالة المدنيّة بإسم عبدون، وهو إسم أجدادنا الأندلسيّين. أمّا أهل حاج عمار فقد إختاروا إسمين مختلفين : الأول الإسم الأندلسي لأنهم أصلاً هم من الأندلس، والثاني أمام الإقتناع القليل بالقضية صرّح بعد تفكير بإسم مغيرفة أي الملعقة الصغيرة، فسجّل مستخدم الحالة المدنيّة مغيرفة، وهو الإسم الذي بقي لهم. والعائلة هي حاليا عائلة عتيقة بمدينة الجزائر، والتي تعترف بأن لها روابط أسريّة بأهل الأندلس.

وبين 1919 و 1925 تابعت تمدرسًا باللغتين العربية والفرنسيّة. وكان عمّي لوناس عبدون، المعلّم بالمدرسة القرآنية، مكلّفا بدرس الصباح ما

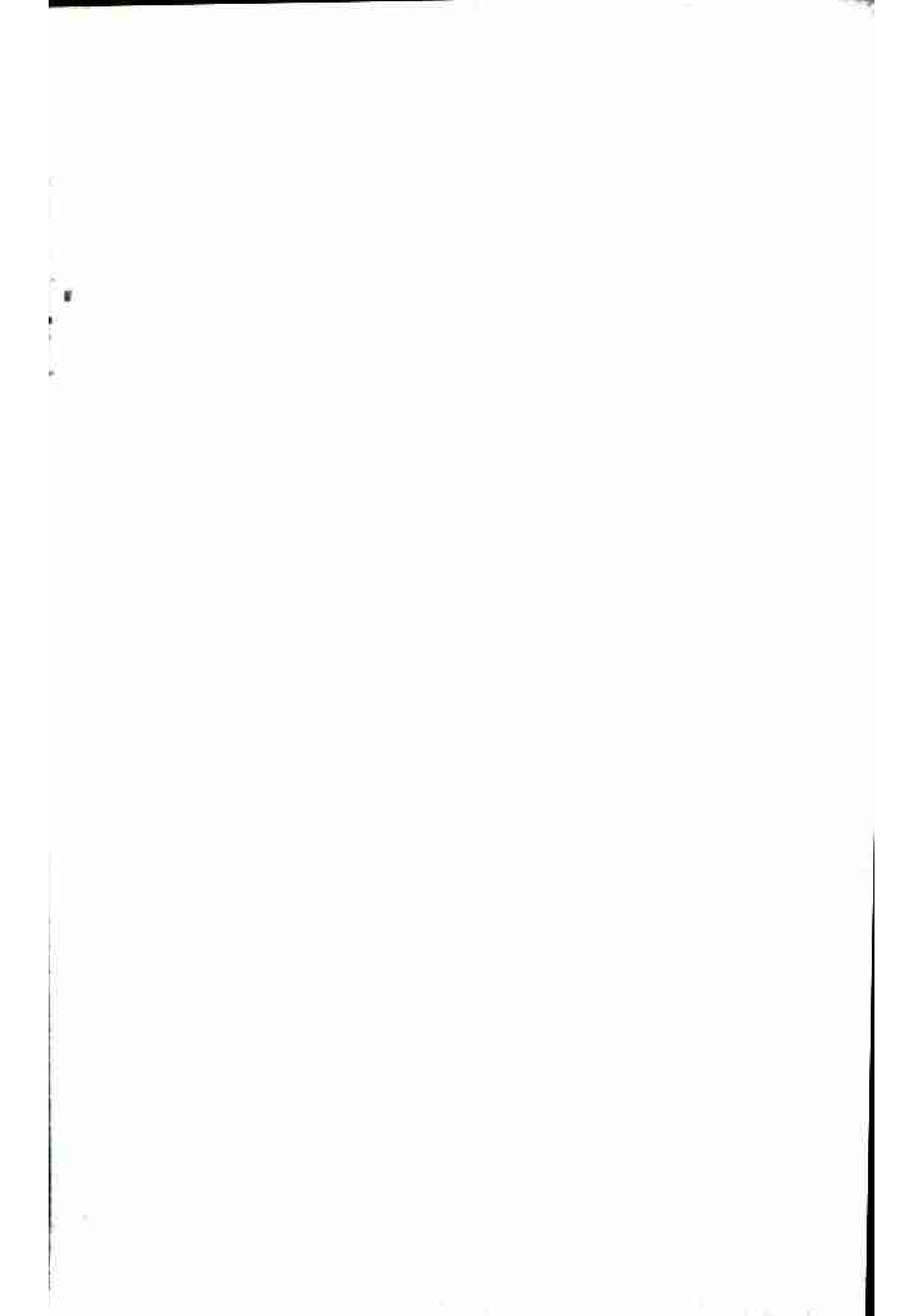
بين الساعة الخامسة والسابع والربع بعد صلاة الصبح، فإننا ننسخ آيات القرآن على واجهتي اللوحة بإعانة قلم من القصب، والمداد (الصمغ). وفي كل مرّة عندما نحفظ الدرس ونجوّده دون هفوة ولا أي تردّد فإننا نمحي اللوحة من أجل إستنساخ جديد لآية أخرى. وهكذا حفظت قرابة (15) آيات. والآن لم أتذكّرها قطّ إلا آية واحدة. وفيما بعد نتناول فطور بسيطا قبل حضور دروس المدرسة الفرنسية.

إن عمّي المعلّم بالمدرسة القرآنية، رجل جدّ تقيّ. وهو معجب بصفة حماسيّة بالشيخ عبدو المصريّ كما هو قليل الموافقة على الممارسات التي تمتّ إلى أهل القباب (مرابطين), ولمّا عيّن في وظيفة إمام بمسجد سيد الحرفي إتّخذ قرارا يمنع به النساء من دخول المسجد يوم الجمعة، فهذا الإجراء أثار زوبعة وسط النساء. إن الوكلاء الذين سبقوا سي لوناس، والذين كانوا يسمحون بفتح أبواب المسجد أمام النساء قد وجدوا في ذلك منفعة محقّقة حيث يدفع النسوة لهم الصدقات كما يسلمن لهم أيضا الشموع، والأقمشة التي يبيعونها مجددا لصالحهم. وفي ردّه على هذا الحجج الماديّة يقول عمّي أن الكهرباء تضئ أحسن بكثير من الشموع، وأنّ " الزيارة " (عمل الكهانة) لا تنال إهتمامه رغم ضعف موارده. وبالفعل، وخلافا " للمثقّفين" الأخرين (الطلبة) فإنه لا يكتب أبدا "حرزا " (تميمة)، فهو ولي صالح حقيقي يقسم نشاطه بين وظيفته كإمام، ودروسه بالمدرسة القرآنية : ثمّ يتردّد إلى مسكنه، وبعد تناول طعام زهيد فإنه يجهد نفسه في إستنساخ التآليف العديدة التي تركها له الشيخ العربي عمّه من جهة الأم كإرث. ولقد إلتزم بذلك بمثابة مهمته اليوميّة لمدة سنوات أي إلى غاية وفاته سنة 1942.

وقد إنتهى تمدرسي سنة 1925 مع مرض أبي. وإعتبرني المعلمون إلى غاية الوقت الراهن كتلميذ مجتهد، وجادّ. ولمّا أبي عجز على الإشتغال

بالحانوت عجزا مطلقا فإنه كلّفني بمراقبة تجارته حيث كان من حقّ أخي الأكبر تولي هذه المسؤولية فقد سقط منه حقّ البكورية بسبب تهمة أبيه له بسرقة السجائر.

ولمّا مات أبي كان في عمري (12) سنوات. وهو بالذات الأول الذي درّبني على السياسة، فكان يشتري كلّ يوم جريدة " ليكو دالجي = صدى مدينة الجزائر". وهي جريدة يوميّة إستعمارية تصدر بمدينة الجزائر. ومنذ كان في عمري (10) سنوات إستوجب عليّ أن أقرأ له الجريدة وراء المصطبة. وهكذا يتابع الأحداث البارزة حينئذ، وعلى وجه الخصوص الحروب الإستعمارية بالريف (جبال بشمال المغرب) مع عبد الكريم، وكذلك كفاح الدروز الذين يقودهم السلطان لطرش (بسوريا).



حرف متواضعة ومطامح كبيرة

وبعد وقت قليل من موت أبي، وحسب نصيحة عمّي أحمد الأندلسي قد بعنا الحانوت والدار التي بنيّت حديثا لتصفية الديون التي تتعلّق بالتمريض الخاصّ بأبي في المستشفى، وكذلك بنفقات تسبّب فيها البناء. وعندما إنتهينا من المشكلة غادرت كلّ العائلة بما فيها أمّي الحامل لمدة أربعة شهور، وإخوتي الثلاثة، وأختي، وأنا المدينة مسقط الرأس : فالسفر يتطلّب مصاريف كثيرة، وعليه فإقترح عمّي، ماجن أحمد، أن يحملنا في مركب يجرّه الخيل إلى غاية قرية تدمايت، ومن ثمة سوف نمتطي القطار نحو مدينة الجزائر أين ينتظرنا بمحطة القطار عمّ آخر ليقودنا إلى مسكننا الجديد بحيّ سوق الجمعة. بالقصبة — السفلى في نهج (كراسنت) رقم 4. وكان المسكن ملكا لأسرة بن صيام. وآخر المقيم به هو مفتي مدينة الجزائر، الشيخ أرزقي، فتلك الدار كانت حقيقة بمثابة قصر يحتوي على الفوّارات المائية، وأعراصه المصنوعة بالخزف المطليّ ذي الألوان المتألقة. وكان الماء يسيل بكمية وفيرة كما كان " الجبّ " (خزّان ماء المطر) مملوءا على الدوام. ويغذّي البئر عنصر، ونجد عيون الماء في كلّ المستويات. وكان بهو الدخول مزخرفا بالخزف المطليّ، ويوجد بوسطه حوض.

إن الغرفة التي منحوها لنا كانت كبيرة، وذات سقف عال. وقد كانت أيضا الجدران مغطاة بالخزف كما كان خشب النوافذ، والأبواب مطعّما بالألوان الخضراء والحمراء.

ويعدّ سي أحمد الأندلسي من قدماء المحاربين " كجريح حرب 1918 – 1941 " ونظرا لهذا الصفة تمّ توظيفه في شرطة البلديّة ثمّ في الشرطة الوطنية. إنّه رجل تقدّره كثيرا مجموعة سكّان القصبة لإعتبار نزاهته، وأيضا بالنسبة للخدمات التي يقدّمها لهذه الساكنة الجاهلة في كثير من الأحيان للقوانين.

و لم يكن بالرجل السعيد جدّا في حياته الخاصّة حيث ماتت أزواجه الثلاثة على التوالي. والقران الرابع فقط هو الذي استطاع من خلاله أخيرا أن يجد الإطمئنان. ولقد تعوّد أن يجيب بعض الذين يدفعونه إلى الزواج مجدّدا بعد حالة تأيّمه ثلاث مرّات متتالية، على أن شغله الشاغل قبل كل شيء هو تربيّة الأيتام، وهي حالة نحن كنّا ضمنها.

وعلى الصعيد السياسي فإنّه لا يحبّ كثيرا الفرنسيّين على غرار كل الجزائريين مع ذلك لا يناضل ضد الإستعمار.

وعند وصولي إلى مدينة الجزائر سنة 1926 قد وجدت بسرعة لابأس بها شغلا متواضعا كعامل متخصّص في نقل الوثائق عند محضّر، السيد (طوماس) في شارع (مقادور) بأجرة (60) فرنكا شهريّا، وكان إذ ذاك في عمري (12) سنوات.

وفي شهر ديسمبر تركت هذا الشغل من أجل أشغال طفيفة التي تجلب لي مرتبا أحسن حيث يقدّر بمبلغ فرنكين إثنين يومياّ فنستطيع حينئذ شراء رتل زيت، وكيلوغرام واحد من البطاطا أو (50) غراما من اللحم.

ومع سنة 1930 بدأت الأزمة الإقتصادية الكبرى التي دامت عدّة سنوات. وأثناء مدة طويلة لم نستطع لا أنا، ولا إخوتي وجود عمل من أجل العيش ولو كان هذا العمل صغيرا الحجم.

إن الجزائريّين الذين تتراوح أعمارهم ما بين (14) و (18) سنوات، والذين بإمكانهم الحصول على شغل يسمح بمساعدة أوليائهم فإنهم من النادر، فلم يبق إلاّ الذين خضعوا على التوجه لنقل قفّة السيدات الأوروبيّات في الأسواق. وإذا ساعدهم الحظ فإنهم يستطيعون ربح (4) أو (5) من عمليات التسوّق مقابل (8) أو (10) فرنكا. وهو أمر يعتبر مسبّقا مدخولاً جيّدا. ويسعى آخرون للحصول على العمل في الميناء كعامل ثابت بالمرسى، أو على العمل " بالحوض " لطلي البواخر بالصبغة. والشبّان الذين تجاوز عمرهم (18) سنوات بإمكانهم على حصول عمل شريطة أن لا يكونوا أميّين، وذلك كعاملين بإلتزام ضمن شركات النقل المدنيّة التي تخدم في الإتصال الخاص بمدينة الجزائر وضواحيها القريبة، أو كعاملين في شركة (لوبون)، وهي شركة الغاز، والكهرباء. وإذا ساعدهم قسط قليل من الحظ يبقون غير مرسمين أي أعوانا، وذلك إلى غاية الخدمة العسكريّة حين بلوغهم سن (21) سنة. وفي تلك الفترة كانت الخدمة العكسريّة لمدة سنتين بالنسبة للفرنسيين، وثلاث سنوات للجزائريين.

إن السنة المئوية 1930 لم ترتسم بنفسي إلاّ لأنها تذكرني بحادث مؤلم في حياة بلادنا، وشعبنا ؛ فكلّ الصحف نشرت صور الإحتفالات. وكان رئيس الجمهورية الفرنسيّة (دومارق) في كلّ مكان : إفتتاحيات، ومسيرات، وتسليم مداليات لشخصيات فرنسيّة، وأيضا لبعض آغاوات، وباش آغاوات. إنها رتب إداريّة من الفترة العثمانية يمنحها الفرنسيّون إلى قادة جزائريّين.

وكنّا بعض الشبّان من زبائن مقهى المرسى حين رؤية كلّ هذه المسيرات العسكرية نفكّر بأنّه مما يؤسف له حيث لا نستطيع الكفاح مثل شبّان البلدان الأخرى. لقد نقدر نحن أيضا على القيام بإعتداءات

ضد هذا العرض للقوة الفرنسيّة، ولكن لا توجد وقتئذ أي منظمة جزائرية تتكفّل بنا.

إنّ مقهى المرسى من المقاهي الكبرى، والمشهورة قبل الحرب، وهو يوجد خلف جامع مدينة الجزائر الكبير، على نهج الجمهورية، ويطلّ على إمارة البحر. وقد كان محلّ لقاء كل الطبقة المثقّفة لمنطقة مدينة الجزائر فيجمع على حد سواء الرجال السيّاسيّين، ورجال التجارة، والرياضيّين. والشبيبة وبالأخص شبيبة عمال شركة النقل الذين كانوا متعطّشين إلى التبادل، والنظريات المستقبلية فإنها تلتقي هناك مع فئة كبار السنّ يقصد المحادثة. وكان المقهى أيضا مقرّ الجمعية الرياضية للطليعة.

ولقد تمكنت فيما بعد أن أجد شغلا في مصنع أحذية. وكان العمل يسير على وتيرة التسلسل الذي لا ينبغي خصوصا كسر الإيقاع المتواتر. وعلى سبيل اليقظة يوجد هناك ربّ المصنع، ونائبه الحارس، وذلك على الدوام. ومن الممكن أن يدوم النهار لمدّة (10) ساعات إلى (12) ساعات، وذلك حسب الفصل، ودفتر الطلبات. وأغلبية العمال جزائريّون مع وجود عدد من الإسرائليين الذي يتساوى مع عدد الإسبانيين. كان العمل يمتاز بالضغط إلا أننا نتوصل إلى الحصول على مرتب قدره (12) إلى (15) فرنكا في اليوم مقابل (8) ساعات عمل. وكان هناك جوّ وديّ بين العمّال من كلّ أصل. وليس هناك أي نقابة ولا مندوب عمالي إلى غاية 1936. إن الجالية الإسرائيلية كانت أنشط الجاليات كما أنّها تعطي أكبر عدد من المقاولين الصغار مثل ربّ مصنعي.

وفي تلك الفترة بالذات أخذ مني رغبة القراءة مأخذها، فأشفيت غليلي قبل كل شئ من خلال شراء جريدة رياضيّة " لوطو " التي

تأتي على متن الباخرة ثلاث مرات في الأسبوع. وزيادة عن الجريدة اليوميّة " ليكو دالجي " كنت أطالع أيضا الجريدة الأسبوعية "رياضة بموريتانيا " التي تسرد المظاهرات الرياضية بشمال إفريقيا. إنّ قراءة القصص التي لا أطالعها إلا برفقة كتاب النحو في متناول اليد تسمح لي بتحسين الإملاء، والأسلوب. وقد شدّت إنتباه كتب التاريخ، والجغرافية كثيرا، كما كنت أتابع أيضا كلّ صدور " الإقدام "، وهي جريدة أسبوعيّة باللغة الفرنسيّة تصدر بمدينة الجزائر.

إن هذه النفقات الضخمة نظرا لمنحتي كانت ممكنة وقتئذ لأنّني لم أتناول تبغا، ولا كحولا، وذلك خلافًا لكلّ الشبّان في نفس عمري، فالنظرية السائدة فيما يخص الرجولة هي : فالذي لا يشرب الكحول أو لم تكن له خليلة فهو ليس برجل يستحقّ هذا الإسم. إن أغلبية الشبّان الجزائريين الذين يبلغون (35) سنة فإنهم يسكرون على الأقلّ مرّة واحدة في الأسبوع. وكلّ هؤلاء العطاش لا يمتنعون عن تناول الخمر إلا (40) يوما قبل رمضان، ومساء اليوم الكبير يتناولون كمية مطهّرة. وأتذكّر واقعا مستجدّا صدر في جريدة " ليكو دالجي " ويشير إلى أنّ شاباً مسلما في حالة ثمل تعرّض إلى إلقاء القبض عليه أثناء مشجارة مع مواطن له. وتحت قميصه الممزّق نستطيع قراءة هذا الشعار الموشوم على جذع جسمه : " فرنسوي بالقوة ولكن عربي إلى الممات ".

إن كلّ هذه القراءات سمحت لي بتفتّح على عالم جديد، ومعرفة الأحداث، وتاريخ الشعوب وخصوصا تاريخ العرب، فالأحداث الرياضيّة التي أنا مشغوف بها، والتي أتابعها بإنتظام، لم تخلو من تأثير بصفة متساوية على تكويني السياسي الخاص، وحياة مجتمعنا السياسي.

وفي سنة 1930 وجّهت دعوة إلى (نادي المولودية لمدينة الجزائر) من بسكرة لمقابلة كرة القدم، التي إنتهت بالتعادل (1-1). وقد أقيمت

مأدبة على شرف الزائرين. وأثناءها ألقى ممثل المولوديّة، سي الطاهر عليّ – شريف، وكيل شرعي، والمدافع لدى المحاكم المسلمة، خطابا بالعربيّة. ثمّ جاء دور الممثل المحليّ، ولم يكن شخص غيره، وهو الطيب العقبي الذي هو غير معروف بعد بالقطر الجزائر، فخطابه نال نجاحا لا نظير له لدى أهل مدينة الجزائر. بحيث عند عودهم طلبوا مع سي محمود بن صيام، رئيس المولودية من مسؤولي نادي الترقي أن يوجه دعوة للشيخ العقبي. ولقد تمّ الإتفاق عليها سريعا، وفي سنة 1931، إستقرّ الشيخ بمدينة الجزائر. إنّ محاضراته أحدثت وقعا مؤثّرا : كما بدا نادي الترقي بصفة سريعة ضيّقا للمستمعين الذين جلبهم، ولهذا أتخذ القرار بأن إنعقاد المحاضرات يقع في المساجد وبالأخصّ في الجامع الجديد. ولسوء الحظ فهذا النجاح لم ينل رضى الجمعية الإسلامية للشؤون الدينية (التابعة للإدارة الفرنسية)، فإتخذ المسؤول (ميشال) المدير قرارًا رسميّا يمنع دروس الوعظ والإرشاد في المساجد التي لم تتحصّل على رخصة والي العمالة.

ولم يعد الشيخ العقبي يقوم بالوعظ إلاّ في نادي الترقي غير أن هذا الحظر سعى في تعرفه لدى الشعب الجزائريّ كما سمح له أن يرسي شهرة مناضل ضد الإستعمار، وقد إنجرّ تطبيق هذا القرار الرسمي أيضا على السيّدة شامة بوفجّي، وهي سيدة مع ذلك لا تعلّم إلا اللغة العربية في منزلها للشابات. إن المظاهرة التي نظمت للتنديد بهذا الحظر والذي حضره جمع قرابة (100) شخصا أمام دار عمالة مدينة الجزائر.

نشأة الحركة الوطنية

إن الخلايا الأولى التابعة للحزب الوطني تأسّست أثناء سنة 1930. وقد حضر سي بوعلام، المناضل الشيوعي، وتاجر في الصحف (ببلوكور) إجتماع (الكومنترن) الذي إنعقد بمدينة (فرنكفرت) — بألمانيا — وعند عودته مرّ بباريس وزار مقرّ الحزب الشيوعي الفرنسيّ من أجل كتابة تقرير للفرع المكلّف بالمستعمرات. وهناك بالذات إتصل به مسؤول من نجم الشمال الإفريقي المجيدة (GENA)، الذي طلب منه أن يعقد له صلة مع الوطنيين الجزائريّين.

وحين وصول سي بوعلام إلى مدينة الجزائر توجّه نحو حاج سماعين بصفته حلّاق في القصبة، فقاعة هذه الحلاقة كانت من أجمل الأمكنة في الحيّ، وهو يقع بقرب سوق (روندون) — جامع اليهود، وله مجموعة زبائن من الشبان المتعلّمين، وأعمارهم تتراوح ما بين 20 و25 سنة والأغلبية منهم يعملون بشركة النقل على السكك الحديدية. ولما علم هؤلاء الشبان بقصد نجم الشمال الإفريقي الرامي إلى إيجاد متعاطفين من أجل الكفاح للإستقلال فإنهم كونوا الخلايا الأولى بمحلات عملهم.

إن المناضلين الأوائل في الشركة للسكك الحديدية بالعاصمة هم: مسعودي عمر، ومحمد بوعاصم بلوشراني، وتغليت، وعليّ زاوي، وبلقاسمي، وحاج بورجي، وبو باشا، وكان المناضلون الأوائل في شركة النقل بالعاصمة (T.A) كالتالي : مصطفى دشكوك، وأحمد مزغنة، وعبد القادر لغواطي، وويتيس، وترابلسي، والجودي، وتواتي لوناس.

وفي سنة 1933، زيادة على هذه الفروع النقابيّة أسّس أوعمارة محمّد الملقّب رشيد (تاجر حليب متنقّل بالقصبة) بدورهما فروعا أخرى سريّة في مختلف محلات العاصمة.

وقرابة (15) شبّان عاملين بشركة النقل (T.A) و(CFRA) ومنهم أوعمارة محمّد قد أسّسوا منذ وقت قليل سابقا حزبًا سريًا، الحزب الوطني الثوري. لم يكن له نشاط بمعنى الكلمة ثمّ إنضمّ إلى خلايا نجم الشمال الإفريقي عندما تلك الخلايا رتّبت نفسها.

وحين نشأة الخلايا فإنّ مناضلي نجم الشمال الإفريقي لم يتوقفوا على النضال داخل السرّية، وذلك إلى غاية 1936. وبعد فوز الجبهة الشعبيّة (بفرنسا) توفّر نوع من حريّة التعبير لصالح نشاط رسميّ.

وفي سنة 1934 إنفجرت أحداث عنيفة بقسنطينة بين اليهود والمسلمين، عقب إفتزاز وقع داخل مسجد.

ولقد دامت الإصطدامات عدّة أيّام كما نتج عنها ضحايا عديدين في كلاي المعسكرين. ومن خلال هذه الأحداث قد ظهر للعيان الدكتور بن جلول الذي قام بحملة تنديد ضد القمع، كما وطّد شعبيته. وعند حالة الإنزعاج الجزائري الذي يمتدّ فإن الحكومة الفرنسيّة قرّرت تكوين لجنة بحث يترأسها وزير الداخلية الفرنسيّ الذي إنتقل إلى قسنطينة وأنهى جولته بمدينة الجزائر. وفي مساء بارحة وصوله إلى العاصمة قد سعى ولد بالمقهى الجزائري، إسمه ودّاس، وهو معروف جدًا في وسط الدراجات، لجمع ما يقارب (200) من شبّان ماسحي الأحذيّة، ونقلة الماء من أجل إستقبال وزير الداخلية في محطة القطار لمدينة الجزائر، فكلّ هذه الشبيبة هتفت بالوزير بصوت عال : " يحيا (ريني)". و " تحيا فرنسا ". إن مصدر هذه المظاهرة لم تتضح

أبدا، وبالأحرى فإن ودّاس لم تكن له أبدا علاقة مع الحركة السيّاسيّة. وبالعكس، ولعل سنجد هناك مصدر المظاهرة حيث جريدة فرنسيّة (La libre parole = الكلمة الحرّة) كانت تقوم بحملة ضد العنصر السامي، وضد الأوساط المالية غير أن الجزائريّين لم ينخرطوا أبدا في هذه الحركة.

وقد أعلن بمرسوم في فرنسا ما يسمّى "بمرسوم رينيي"، والذي له فعالية العقوبات الشديدة لمن من المفروض سوف يشارك في مظاهرة ضد السيادة الفرنسيّة.

وفي سنة 1934 جندت ضمن الجيش فقضيت ثمانية أيام مع (150) شبّان أخرين المجنّدين، في مركز التطابق الذي يقع حينئذ خلف تكنة (بليسيي = حاليا هي مديرية الأمن الوطني).

إن الجوّ كان يسوده جدّا الفرح رغم الغذاء الذي كان قليل الهضم، وجهاز السرير من التبن. وبعد مضي ثلاثة أيّام على تلك الوضعية فالتبن صار منبسطا إنبساطا فاحشا بحيث لا نحسّ قط إلاّ بالإسمنت تحت أضلعنا. وبعدما أصدرت اللجنة الطبية حكما في حقّي يقضي بعدم القدرة على الحياة البحرية — وذلك مع شبان آخرين كان عددهم قرابة (15) — تمّ تعييني في الكتيبة التاسعة للرماة بدلس.

إنّ هذه الكتيبة كان من المفترض أن تلتحق كمدد بفوج الرماة الجزائريين الموجود بمكناس، فهذا التعيين قد طرح لي مشكلا حيث لم أرد قطّ الإبتعاد عن مدينة الجزائر من جهة، ومن جهة أخرى وبالأحري لا أريد أن أحارب ضد إخواني المغربيّين. وفي سنة 1934 لا تزال هناك بالمغرب تجري معارك بصفة إنفرادية. وقد قررتُ تدخل عمّ أبويّ، إسمه خوائن محمد وهو مموّن الثكنة بالخضر واللحوم. وفي اليوم

الموالي أمر الطبيب بتسجيلي كمريض بالمستشفى، وذلك حتى ذهاب الكتيبة. وغادرتُ فيما بعد دلس للإلتحاق بفوج الرماة الجزائريين الخامس والمتمركز بالحراش. ثم تمت دعوتي إلى مستشفى (مايو بباب الوادي) من أجل الإمتثال أمام مجلس الحلّ فأعلن لصالحي عدم القدرة على الخدمة العسكرية بفوج الرجالة، كما تمّ تعييني ككاتب بمصلحة المأكولات بالشركة العمالية الخاصة بالإدارة. وهناك قضيت كل خدمتي العسكريّة، و لم أتذمّر أثناءها من عملي، ولا من قادتي، لأن الإنضباط كان لطيفا حيث كنت أتمتّع حينئذ بكل حرية الحركة.

وفي نفس الوقت قد جرت أحداث كثيرة وجدّ خطيرة على الحلبة الدّولية وقد غزت إيطاليا إيثوبيا، كما غز اليابان (مند شوريا). أمّا الألمان فقد ضمّ إليهم منطقة (لاصار) من خلال إستفتاء وشرعوا في تسليحهم. وإعتلى الحكم (هتلر) كمستشار خلفا ل (هندبرغ) كما نقض معاهدة (فيرصاي).

إنّ أوّل بلد عربي قام بالدخول إلى جمعية الأمم هو مصر، وقد جازت الجبهة الشعبية بفرنسا سنة 1936 على النجاح في الإنتخابات التشريعية، وجعلت على رأس الحكومة (ليون بلوم). وهي مكوّنة من الحزب الراد يكالي، ومن الحزب الإشتراكي وهو الممثل للفرع الفرنسي التابع للدولية الإشتراكية – ويساندها الشيوعيون.

وحين بداية ممارسته للسلطة فإن الحكومة الجديدة كشفت عن نواياها فيما يخص وضع حد لدخول الخمور الجزائريّة إلى فرنسا ممّا أحدث تمرّد من طرف المعمّرين الذين تظاهروا في شوارع مدينة الجزائر مع رفع جواز السفر عاليًا بإحدى أيديهم، ورفع السجل العسكري باليد الأخرى جليًا، كما سار في مسيرة على الأقدام مالكو الكروم مهدّدين الحكومة بأنهم لا يعتبرون أنفسهم "فرنسيين" من اليوم فصاعدا.

وفي سنة 1936 جرى حدث هام بالنسبة للجزائريين، ويتمثّل في تكوين المؤتمر الجزائري. ومنذ إنتصار الجبهة الشعبية (بفرنسا) فإنّ الشيوعيين مع عمر أوزقان، والإشتراكيين مع الأستاذ بلحاج، والمنتخبين مع بن جلول وفرحات عباس قد شرعوا في أحاديث لإنعقاد مؤتمر، كما فكرت جمعية العلماء أيضا في مؤتمر من أجل بصفة خاصة الدفاع عن اللغة العربية وإستقلال الديانة.

إن الحزب الشيوعي الفرنسي الذي إلى حد الآن قام بمعركة ضد الأبريالية، ولصالح إستقلال المستعمرات فإنه غيّر برنامجه سنة 1935 عقب إتفاق فرنسي — سوفياتي، حيث من أجل عدم التقليل من قوة فرنسا أمام الخطر الألماني الجديد فرضت روسيا على الحزب الشيوعي الفرنسي من خلال (كومنترن) التخلي عن المعركة ضد — الإستعمار في سبيل معركة إتحاد شعب فرنسا وأقطار ما وراء — البحر.

وبعد الإتفاق الذي تحقّق بين هذه الحركات المتنوّعة إنتشر مناضلو جمعية العلماء، والحزب الشيوعي الفرنسي، والمنتخبين عبر القطر الجزائري كلّه لتأسيس فروع المؤتمر، وتعيين المندوبين. وقد إنعقد المؤتمر في (17) ماي 1936، ووافق على برنامج كان يحتوي على خطين عريضين يتمثلان في إلحاق القطر الجزائري بفرنسا من جهة، ومن جهة أخرى تمثيل الجزائريين بالبرلمان الفرنسي.

وفي سنة 1936 صرح فرحات عباس بما يلي : " أنا فرنسا — لو إكتشفت الأمة الجزائرية لسوف كنت وطنيا. إن الرجال الذين ماتوا في سبيل الفعل الأعلى لحبّ الوطن هم موضوع إكرام وإحترام في كل يوم ؛ فحياتي لا تساوي أكثر من حياتهم. ومع ذلك لا أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن ليس له وجود، فلم أكتشفه. ولقد طرحتُ السؤال على التاريخ كما سألت الأموات والأحياء، وزرتُ المقابر فلا أحدا حدثني عنه."

وأمّا إبن باديس فقد ردّ عليه بهذه العبارات : "إنّنا بحثنا في التاريخ، وفي الحاضر فشاهدنا بأنّ الأمة الجزائرية المسلمة قد تحوّلت، ووجدت مثلما تكوّنت كلّ أمم الأرض. إن لهذه الأمة تاريخها الذي رسمته الوقائع السامية كما لها وحدتها الدينيّة، واللغوية، ولها ثقافتها، وعوائدها، وخاصياتها الجيّدة منها أو السيئّة على غرار كلّ أمة على وجه الأرض. ثم نقول بأن هذه الأمة الجزائرية ليست بفرنسا. ومن المستحيل أن تكون فرنسا".

الدخول إلى الحزب

وفي سنة 1936 كان إحساسي يقرّبني من الإصلاحيين فكنتُ تقريبا موافقا مع مواقف المؤتمر الإسلامي. وبالنسبة إليّ فإنّ كلمة إصلاحي تعني توفير تحسينات لحالتنا السياسيّة في إطار القوانين الموجودة. وقد تغيّر موقفي بتاتًا بعد التجمّع الجماهيري بالملعب البلديّ في (رويسو، وهو حاليّا ملعب (20) أوت 1955 بحي العناصر). وفي (2) أوت 1936 وجهت دعوة إلى ساكني مدينة الجزائر لحضور التجمّع الذي نظم بالملعب من طرف المؤتمر الإسلامي عند رجوعه من باريس. وكان أول خطيب في هذا التجمّع الطيب العقبي الذي سلّم روايته لإحتفال إستقبال الوفد من طرف (ليون بلوم)، بحضور وزير الداخليّة (صالنقرو)، و(دالادي)، وزير الحرب، فكلّ هذه الشخصيّات كانت موافقة على مطالب المقدّمة. وبعد هذا الخطاب أخذ مصالي الذي لم يكن مدعوا، الميكرو بالقوّة ليجيب على الخطيب الأول قائلا : "لماذا تسرد أكاذيب ؟ هذا ما قال لكم (دالادي) : تحتلّ فرنسا القطر الجزائري عقب حرب، وسوف لا ترحل إلاّ بقوّة السلاح، وهذا ما قاله لكم (ليون يلوم) : إنّني سعيد كيهوديّ فرنسيّ أن أستقبل وفدا مسلما فرنسيّا ". فقد هتف بقوّة لمصالي الجمهور الذي يرى لأول مرّة طموحاته العميقة يصرّح بها عاليا وبقوّة. وحمل مصالي على الأكتاف في جوّ الإنتصار من طرف الشبّان المتعاطفين مثل محمد مستول، والذين ساروا به حول الملعب. وإنتهى المؤتمر فيما بعد دون أحداث.

ولابدّ من التذكير بأن مفتي مدينة الجزائر، كحول، بعث برقيّة إلى وزير الداخلية الفرنسيّة حين وصول الوفد إلى باريس فكان يندّد بأعضاء الوفد بأنّهم " أشخاص غير مسؤولين، وهم لا يمثّلون بتاتا المسلمين الجزائريّين. "

وعند وصولي إلى شارع (لالير، وحاليّا بوزرينة) عقب مغادرة الملعب علمت بإغتيال مفتي الجزائر العاصمة بالسلاح الأبيض، ولنصارحكم فإنّ هذا الفعل كان عند حسن ظنّ كلّ شبيبة مدينة الجزائر. وفي الغد ألقي القبض على العقبي وفرحات عبّاس بتهمة متآمرين على الجريمة. وقد أطلق سراحهما مؤقتا بعد خمسة أيّام لاحقة.

إنّني ذهبت إلى التجمع الجماهيري كمتعاطف مع المؤتمر الإسلاميّ. وبعد إستماعي لمصالي خرجتُ بصفة وطنيّ. وأتخذت قرار الإنخراط في نجم الشمال الإفريقي، وذلك حين تسريحي من الخدمة الوطنيّة. ولمّا تمّ بالفعل التسريح في (30.08.36) إلتحقتُ حينا في الغد بمقرّ الحزب بساحة (روندون). ولحول حسين هو الذي سجّلني. ولما كانت الفروع متوزّعة حسب الدائرات فطلبت أن أنشط في خليّة حيّنا بشارع لبنان. وكان المحلّ بمثابة قبو بدون فتحة إلا باب الدخول.

وخلافا لمحلّات الحزب الأخرى فهذا المحلّ الواقع بقرب المدينة العربيّة، كان أحيانا يستعمل كمقرّ نجم الشمال الإفريقيّ، وأيضا كمكان إجتماع المديرية. ووجدت هناك مناضلا مستديما، وهو شيخ بلعيد، يناهز في عمر خمسين سنة كما هو وطنيّ منذ أمد بعيد، وذو ذكاء كبير. وقد سجّلني وأخبرني بأنّ إجتماعات الفرع تنعقد كل جمعة مساءا. وكان رئيس الفرع مقري الحسين وفي نفس الوقت هو عضو المديرية، وكان أصلا سائق تكسي. وكان الكاتب بن إيدير بوزيد، وهو محترف تصليح آلات التسخين. والإثنان قد وافتهما المنيّة

أثناء الثورة، الأول تحت حكم "الجنرال" بلونيس، القائد الرئيسيّ للمعاقل المصالية بالجبال، والثاني ضمن جبهة التحرير الوطني. وأثناء هذه الإجتماعات الأسبوعية يعلّمونا بكلمات الترتيب السياسيّ، وعن المهام للأسبوع المقبل. وكان (90 %) من المناضلين في الفرع أميّين.

وأثناء أحد هذه الإجتماعات، تناولت الكلمة بالفرنسيّة فنادوني حينا من طرف المكتب لأشغل منصب آمين المال، وقد أخذت أول وظيفتي ضمن الحزب وفي عمري (23) سنة، فكانت مهمتي تنحصر في قبض مال إشتراكات المناضلين الشهريّة، والتي أسلّمها إلى رئيس الفرع، وهو نفسه بدوره يسلّمها إلى أمين المال العام الذي كنت لا أعرفه حينئذ.

وبعد التجمّع الجماهيري الشهير مكث مصالي بمدينة الجزائر من أجل حملة تحسيسيّة، وحاز على نجاح باهر : في قاعة (بتي كزينو) بباب الوادي، وبالحراش فيما يخصّ مدينة الجزائر، وبوفريك، والبليدة، ودلس. ولقد أثار حماس الجماهير كلّ من مفدي زكريا بواسطة خطبه المفخّمة بالعربيّة الفصحى، ولحول حسين من خلال خطبه بالعربية الدارجة، والفرنسيّة. وبمجرّد ما رجع مصالي توقّفت حملة التجنيد لأن لا يوجد أي عضو من المديرية بمقدرته أن يسيّرها خلا مفدي زكريا، ولحلول، وهما خطيبان ممتازان.

وفي سنة 1936 كان المسؤولون على النجم الشمالي الإفريقي بمدينة الجزائر كلّ من مفدي زكريا، ولحول الحسين الذي أعرفه قليلا، ومسعودي عمر، هو جادّ، مكوّن سياسيّا، غير أنه سكوت. أمّا زاوي علي فهو عصبي المزاج، ويفتقد موهبة الخطيب كما لا يتدخل دائما على دراية حسنة. وهو اليوم في إعداد الأموات. وهناك عضو آخر، دشكوك مصطفى الذي يمتاز بتكوينه السياسي، غير أنه لا يمتلك أي موهبة خطابيّة، كما يوجد أيضا مزغنة الذي بالخلاف كان خطيبا ممتازا

ولكن أشرب بنفسه فكان إذًا قليل المحبّة لدى المناضلين. ويوجد هناك أيضا فليتة أحمد من بوفريك، وقد توفي، وهو أحد متعلّمي الفوج بصفة بالغة، وكثير المواضبة رغم أنه يعيش بعيدا عن مدينة الجزائر. وكان يسيّر أحد أهم الفروع لبوفريك، والذي يتبع نجم الشمال الإفريقي. ومن المسؤولين أيضا : بواسم الذي بقي مدة قليلة بالمديرية، ولكن واصل نضاله بالقاعدة، والوزّانين عضو المديرية والذي كان جدّ نشيط، وعلى وجه الخصوص في حملات الدعاية بداخل البلاد، فهذا المناضل يعيش في ظروف حرجة للغاية، حيث يتغذّى تغذية سيئة، وينام في أي مكان : إنّه إنهمك في المرض العقلي ؛ وهو دائما على قيد الحياة، ومحبوس في دار العجزة بسيدي موسى. ومن المسؤولين : طالب محمد البالغ من العمر (19) سنوات، وهو يمتاز بالتنظيم، وأو عمارة رشيد معروف بكونه خطيبا جيّدا، وشجاعا للغاية، ومتكوّنا تكوينا سياسيّا جيّدا. ويستوجب أن نذكر أيضا محمد بلكور، المحبوب بصفة بالغة لدى الساكنة، ونذكر أحمد بودة، رجل جدّ تقيّ، والذي أتى من الزوايا غير أنه مكوّن سياسيّا، وشجاع، وجدّ نشيط.

وكان أول لقائي مع لحول بمثابة مفاجئة حقيقيّة لأنّني لم أكن أتوقّع أن أجد في هذا الشاب البالغ من العمر (19) سنة، مسؤولاً كبيرا في النجم، هو أصلا من سكيكدة، وقد تعرّض للطرد من الثانويّة بسبب أفكاره الوطنيّة. وجاء إلى مدينة الجزائر للبحث عن حزب النجم الشمالي الإفريقي الذي كان حينئذ متستّرًا فوجده بعد معاناة. وكان لحول الإطار الأول للنجم، الذي عرفته.

وإذا كان مستوى تعليم مسؤولي الحزب ضعيفا عدا لحول فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لتكوينهم السيّاسي، وقد كانت الأغلبيّة منهم من مسؤولي النجم السريّ أو كانوا من مسيّري الفروع التابعة

للنقل الحضر (T.A – CFRA) عندما كانت الفروع غير شرعيّة. إنّ المسؤولين يعبرون بدون تمييز باللغات الثلاثة : العربيّة، والفرنسيّة أو الأمازيغية، مثل الشيخ بلعيد. وكان زكريا لوحده يتكلّم بالعربية الأدبيّة (الفصحى).

وف شهر نفمبر 1936، كانت رحى الحرب على أشدّها بإسبانيا. وقد إستقبل مصالي وفدا من الحزب الشيوعي الفرنسي الذي أتى يطالب النجم بتكوين لواء جزائريّ لمحاربة جيوش (فرنكو) الفاشية، فكان جواب مصالي فوريّا، وسلبيّا بقوله : " إذا كان هناك دم جزائري يراق فسوف يقع من أجل تحرير الجزائر. ماذا فعل الجمهوريّون الإسبانيّون لتحرير الجزء المحتلّ من المغرب الأقصى. ولقد نصحت الحكومة الإشتراكيّة التي يساندها الحزب الشيوعي، الجمهوريين، الإسبانيّين قبل الحرب المدنية بإبقاء الحالة الراهنة السياسية في هذه المحميّة، وذلك خوفا من أن ترى مواصلة الحركة الخاصة بتصفية الإستعمار تتوسع في المغرب الأقصى (أي القسم الفرنسي).

وسوف يكون لهذا الرفض عواقب وخيمة على المنظمة، حيث في 13 جانفي 1937 تصدر حكومة (بلوم) مرسوما يقضي بحلّ النجم. و لم يمنعنا هذا المرسوم من النشاط أثناء الشهرين اللذين تبعا تحت إسم " أحباب الأمة " وأنشئ حزب الشعب الجزائريّ بتاريخ 11 مارس 1937 على أساس برنامج جديد. فالتحوّل حدث دون أيّة مشكلة، كما بقي كل المسؤولين على كلّ المستويات في مكانهم، بحيث واجه المناضلون نفس القادة، ويقومون بإصدار نفس الجريدة، " الأمة ".

و لم يطرح تحوّل البرنامج مشكلا إلاّ لبعض مسؤولي هيئة الإدارة، وبالفعل فالفرق كان كبيرا بالنسبة للذين يدقّقون تدقيقا في لوحة القاعدة الجديدة السياسيّة، فبين مطلب الإستقلال الكامل لشمال

إفريقيا الذي ينشده النجم، وإنتخاب البرلمان الجزائري عن طريق التصويت العام الذي ينشده حزب الشعب الجزائري يوجد بون واسع قد سدّه المناضلون الوطنيّون. إن مسألة الأقليّة الأوربيّة بقيت غامضة حيث لم يثره الأوربيّون أنفسهم، وليس لحزب الشعب الجزائر أية مصلحة في شرح المسألة بصفة مدقّقة، كما أن البرنامج لا يذكر قطّ المراحل التي ينتعى إجتيازها. وعلى كلّ حال فإنه لا يخضع للقانون الذي ينصّ " إعادة تكوين رابطة منحلة ".

وفي آخر شهر أفريل 1937 ككلّ السنوات فإنّ الشركة الخيريّة المسماة " الخيريّة " والتي يترأسها الشيخ الطيب العقبي نظّمت صبحيّة رياضية وثقافيّة. إن هذه الشركة التي أسّسها مناضلو " نادي الترقي"، كان لها هدف مساعدة المعوزين، كما كانت تقوم من جملة أمور، بإسكان الفاقدين للمأمن تحت سوق (راندون). وقد شارك في التظاهرة كلّ من الكشافة المسلمين الجزائريين، وعلى رأسهم بوراس، ومن الناشطين الرياضيين الذين يسمون" التنانين (Dragons)، فهذه الشركة يترأسها فرنسوي، وتتكوّن من رياضيّين أتوا من عدّة نواد. وقد أتى من الجمعية الرياضيّة ببولوغين كلّ من محمد عبد الحميد، وأرزقي بوزرينة المسمى " حديدوش "، وأمّا زوبير فقد جاء من الجمعية الرياضيّة لرجال المطافئ، التابعة لمدينة الجزائر. وآخرون يتعاطون الرياضة قد تعرّضوا للعزل بهيئة " الطليعة " التابعة للملازم الأول سي عبد الله إثر خلاف مع قادتهم، فكوّنوا مع المعزولين من النوادي الفرنسيّة جمعية سمّوها " التنانين ".

ويترأس الكشّافة الإسلاميّة الجزائرية بوراس الذي عرفته سنة 1930، وكان لاعب كرة القدم بفريق مولودية مدينة الجزائر. وقد غادر الفريق الفرنسي المسمّى بالفرنسيّة (لي دي ماقو) مع لاعب آخر

إسمه بلكسة الذي صار فيما بعد حكما بالمولودية. وبورس الذي كان تقنيًا في الراديو بالأمارية، كثيرا ما يقدمونه كمناضل النجم. وشخصيا ومنذ 1936 أي منذ دخولي إلى الحزب فلم أسايره أبدا في إجتماع، ولا في تجمّع جماهيريّ. وبالعكس فإنه صار دون جدال المنشئ للحركة الكشفيّة بالجزائر. وذكر البعض حالته كقائم بمساعدة مع الألمان أثناء الحرب العالميّة الثانية غير أن قليلا من الناس لا يعرفون حقيقة الأمر.

وبعد خدمة الرياضيين تناول الكلمة الشيخ الطيب العقبي ليفضح موقف الوطنيّين. وقام بذلك من خلال هذه العبارات : " سادتي، لست من الذين يريدون رمي الفرنسيّين إلى البحر. ومهما أردتم ذلك أم لا فإنّ السماء الزرقاء التي نبصرها، والهواء الذي نستنشقه، والأرض التي تغذينا كلّها ملك لفرنسا. إنّي ضد إستقلال الجزائر، لأنّنا غير قادرين على صنع إبرة، ولا صنع علبة أعواد ثقاب (زلميت)". وصفق جمهور الحاضرين الكثيرين.

وإنعقدت الندوة السنويّة الثانيّة للمؤتمر الإسلامي يومي 09 و10 جويلية بمدينة الجزائر وكان أحد قراراتها الأساسيّة الطلب من كلّ المنتخبين الجزائريين الإستقالة إذا مشروع (بلوم – فيوليت) لم ينتخب عليه من طرف المجالس الفرنسيّة، وفي شهر أوت تمت إستقالة (2600) منتخبا فقط من مجموع (5.000)، فإغتنم الحزب الفرصة كلّها للتصريح بمطالبه. وفي 14 جويلية 1937 إتخذ مصالي موقع مقدمة مظاهرة نظّمتها إتحادية مدينة الجزائر لحزب الشعب الجزائري. وإنطلق المسيرة من ساحة أول ماي لتنتهي بساحة المجاهدين. وكانت كلمات الشعار لزاما تتنوّع أمام كلّ بناية عموميّة كالتالي : " الأرض للفلاح " أمام غرفة الفلاحة، و" البرلمان الجزائري " أمام المندوبيات الماليّة، و" ليسقط مرسوم رينيي " أمام دار العمالة.

ورفعوا مصالي على الأكتاف في جوّ الإنتصار، وذلك بساحة الشهداء، فخطب خطاب تأنب بصفة مطوّلة إزاء الجمهور ثمّ طلب منه أن ينصرف بهدوء، فهذه المسيرة كان لها صدى معتبر. وأثناء كلّ شهر جويلية وشهر أوت نظّمت تجمّعات جماهيرية بمدينة الجزائر، وضواحيها إلى غاية إعتقال مصالي، وزكريا، ولحول، وغرافة براهيم، وخليفة بن عمر في 22 أوت 1937. وفي اليوم الثالث من إعتقالهم بادروا في إضراب عن الطعام الذي دام (10) أيام ليشترطوا النظام السياسي. وبعدما تحصّلوا على قبوله، حوّلوا إلى " المربّع السياسيّ "، وهو عبارة عن عمارة صغيرة موجودة بالداخل المحروس في سجن الحراش، فالنظام السياسيّ، في الجزائر يعني إمكانية إختيار قائمة الطعام بالمطعم حسب رغبته، وإمكانية إستلام كلّ الجرائد باللغة الفرنسيّة. إن الجرائد باللغة العربيّة كانت مستثناة حيث اللغة العربية تعتبر لغة أجنبيّة. وكل سجين له الحقّ إلى (35) زائر، ولكن بصفة حصرية في (5) يوميًا، ويستثني من هذا الحساب أعضاء العائلة.

ولقد صار مصالي المشخّص ذاته للوطنيّة فكان محبوبا إلى حدّ التعبّد من طرف المناضلين، وكل الشعب ولو يتحاشاه الشيوعيّون، والمؤتمر الإسلامي بإنتقاداتهم، وفإنهم ينتقدون على حدّ سواء الرجل، ومطلب الإستقلال، الذي يحكم عليه بأنّه بمثابة حُلم.

وفي آخر سنة 1937 بدت أسارير مصالي، ولمّا كنتُ ضمن هيئة الإدارة، فسجلني كحال لدى دار العمالة كزائر لأحد المسجونين. وفي الواقع فالزائر المعيّن لأحد المسجونين كان يستطيع أن يراهم كلّهم، وهكذا إستطاعت مديرية إتحادية مدينة الجزائر الإجتماع كلّ أحد فيما بعد الظهر بسجن الحراش، وحسب الوقائع فإنّ النجم قد حوّل مقرّه من باريس إلى الجزائر العاصمة حيث كانت تتخذ القرارات في

السجن ذاته. وف بداية شهر سبتمبر بعثت مديرية باريس إثنين من أحسن مناضليها، فالأول هو عبد الله فيلالي الذي بقي شهرا بمدينة الجزائر لمساعدة الإتحادية ثمّ خلفه في هذه المهمّة كحال. وهذا الأخير يبلغ إحتمالا العمر (45) سنة أنداك، كما يتمتّع بتكوين سياسيّ يحسده الكثير عليه، من المسؤولين. وسوف لا أنسى أبدًا هذا الرجل المخشوشن الذي لا يبتسم أبدًا، والذي قد أبكاني. وذات يوم من آخر شهر ديسمبر 1937، كنت أعمل في محلّ جديد واقع بساحة (دوغين، وهي لا توجد حاليا وكانت قرب ساحة الشهداء). وقد وجدني سي أرزقي كحال منشغلا بتحرير تقرير حول نقابة السكّافين، التي كنت أمين مالها العام، "فوبّخني توبيخا مرّا" بصفة حقيقيّة قائلا لي بنصّه وفصّه : "لا أرضى بأن يصلح هذا المكتب لنشاط نقابة أو لأيّ منظمة أخرى كانت. فإنك أخذت مكان مسيّر فحسب والذي هو يعمل لصالح الحزب، ولكن أيضا تكتب بقلم، وورق اللذين هما ملك للحزب" فكنتُ مندهشا حيث بالأحرى كنت أعتقد قد فعلت جميلا لأنّ الأمر بالإنخراط في نقابة الكنفدرالية العامة للعمّال بتولي مسؤليات فيها قد أصدره الحزب. ولمّا عجزتُ على الردّ للذي كنت أعجب منه كثيرا فإنّني إلتحقت بزاوية في القاعة الكبيرة وبكيت. وكان في عمري (24) سنة. وفي الغد ذهبت إلى عملي بالمحلّ كأنّ لا شئ وقع. ولمّا رأيت كحال يتوجه نحوي مباشرة أخذني الفزع حيث خفت من إعادة نفس الحالة الشبيهة بحالة الأمس. وفي الواقع فإنه أتى ليخبرني بتعييني ضمن جملة مديرية مدينة الجزائر، وذلك من اليوم فصاعدا. وفي الغد أستدعيت إلى محل (الترتسكيّين). وفي نفس ذلك الوقت بالذات أدركت بأنّه أراد تجربتي قبل أن يسلّم لي مسؤوليات جديدة لأنّ منذ إعتقالات مناضلين كثيرين يتملصون، حتى أنّهم لا يحضرون قطّ الإجتماعات.

إنّ أول إجتماعي كعضو المديريّة جرى بهذه المناسبة مع الحزب الترسكي الذي يوجد مقرّه بشارع (فالنتن) قرب نفق الكليّات، والذي لا يجلب كثيرا جمهور النّاس. ويسيّر المقرّ (فانفني)، رجل متفان بالكامل لمبادئه السياسيّة، والذي يقوم بوظيفته بنوع من الكهانة، وكانت زوجته مخلصة مثله وهي عضو في الحزب.

وفي تلك الحقبة الزمنيّة يعتبر النجم كعدوّ سياسيّ من طرف كلّ الأحزاب الفرنسيّة المنتميّة سواء إلى اليسار أو اليمين. والترتسكيون التابعون الأمميّة الرابعة لوحدهم يساندون كفاحنا. ولسوء الحظ فهذا الحزب لم يكن متكوّنا إلاّ من مناضلين قلائل بحيث فاعليته حينئذ لم يكن لها أي تأثير على الأوربيّين. وجريدتهم التي تصدر بصفة عاديّة تمنح مكانا واضعا لدعايتنا. وهناك فوج صغير، الذي يحمل إسم "لجنة اليقظة ضد الفاشستية" والذي يسيّره (سوستال)، (وهو الذي فيما بعد يكون الحاكم العام بالجزائر) قد كان يقيم علاقات حسنة مع الحزب. وخلافا لذلك كان الحزب الشيوعي الفرنسي يوهم بالفكرة التي تتّهمنا بأننا من أنصار (هتلر) الذين يخضعون لأوامر (برلين). أما الحزب الإشتراكي فيما يخصّه فإنّه يجهلنا، واليمين يصفنا بالشيوعيّين.

وفي شهر أكتوبر 1937، حدث إنتخاب بلديّ إضافيّ بعد إلغاء إنتخاب بن عليّ بوكرت، والمحامي حدّو، والإثنان شاركا في القائمة الديمقرطية والشعبيّة للحزب الشيوعي غير أنهما حكم عليهما بعدم صلاحيه الإنتخاب. وأراد أحمد بومنجل، ومحمّد عبّاس تقديم ترشحهما تحت تكفيل حزب الشعب الجزائري، دون إظهار من الحزب، فإجتمعت المديريّة دون محمّد طالب للإتخاذ قرار وبحضور؛ م.أوعمارة، ومسعودي، ومقري، وبلعيد، وأنا. وحسب التعداد تساوت الأصوات و لم أصوّت بعد. وأخيرا سلّمت صوتي إلى م.عباس

لكونه فقط من دلس. إن ذلك دون شك غلطة الشباب غير أنّي شاركت بصفة نشيطة في إنتصار المترشحين.

وفي شهر جوان 1937 قد تدخلنا ضد بعض الأوباش الذين يزرعون الإضطراب فيما يخصّ العلاقات الحسنة بين مختلف شعائر الجالية المسلمة، فهؤلاء الشبان، أثناء شهر رمضان المقدّس، يمزحون بفعل مسيرات في أزقة القصبة، وهم يسبّون الإباضيّين، ويرمون عليهم كل أنواع الأوساخ.

وقرر كلّ من محمّد طالب، مسؤول فروع القصبة الثاني، وغرافة براهيم وأنا من الفرع الأول، أن نجعل حدّا لهذا الإفتزازات، فرجع الإنتظام إلى الحي بفضل فوج مناضلين مكوّن من محمد طالب، وحمزة عمار وكذلك أنا. ولم نسجّل أحداث من هذا النوع فيما بعد.

وبدأت سنة 1938 بمحاكمة الشيخ العقبي، وعكّاشة فالمحكمة الجنائية حكمت على عكّاشة بالسجن المؤبّد، وعفت على العقبي. ويبدو أن القضية قد رتّبت كلّ تفاصيلها بسرّ الليل، حيث لم يكن للمفتي كحول أي مدى قوة لإتخاذ بتلقاء نفسه مبادرة التهجّم على المؤتمر. وكنّا نفكّر بالأحرى في تآمر القصد منه إتهام العلماء، وإرغامهم على إتخاذ موقفا. وعند قراءة الحكم صاح العقبي " تحيا العدالة الفرنسيّة " وهو يتوجه إلى رئيس المحكمة كما أنه يعلم بأنّ شريكه في الإتهام كان بريئا من قتل المفتي.

وفي شهر جانفي 1938 ألقي القبض على كحال وفيما بعد بقليل دخل مستشفى مصطفى بسبب إلتهاب بالمعدّة وتوفي حتما في 15 أفريل الموالي. وقد رافق خلق كثيرون دفنه.

وكانت مديريّة حزب الشعب الجزائر مكوّنة إذاك، زيادة على المسجونين بالحراش، من : مسعودي عمر، الكاتب العام، وعبدون

محمود، أمين المال العام، ومزغنة أحمد، وعليّ زاوي، ومقري الحسين، وطالب محمد، وحمزة (بوفاريك)، وحميد ملزي، (روبية)، وبن يوسف (رويسو)، وسي مح صغير (بلكور)، ودشوك مصطفى، وأحمد بودة.

وفي أوت 1938 أطلق سراح غرافة براهيم، وخليفة بن عمر اللذين حكم عليهما بعام سجنا.

وفي آخر سبتمبر 1937 مسّت موجة إعتقال القطاع الوهراني وأصابت كلاّ من : قنانش، وبرّازوق، وحرقة بن دحمان، ومعروف بومدين، وحيواني، وبن عصمان وجلول. وقد عيّنت مديرية مدينة الجزائر (ديسبون) البارسيّ للدفاع عنهم المحامي وهو صاحب مهارة كبيرة، وهو الذي أنقذ من حكم الموت " الوستاشيّين " (اليزعزسلافيّين) بسبب قتل ملك يوغوسلافيا، ووزير الشؤون الخارجية الفرنسي بمرسيليا، فهذه القضية قد هزّت عالم الأخبار سنة 1934 بارحة تجنيدي ضمن الجيش. وذهب حمزة عمار ليزوره بباريس بقصد الإستفسار مستقبلا عن منهجيته فيما يخصّ الدفاع عن مناضلي حزب الشعب، فصرّح بأنّه يريد المرافعة بالتسامح. وعندما تمّ حينا إخبار مصالي بذلك فعزله. إنّ حقّ المناضلين أن يطالبوا بأفكارهم الوطنيّة، وليس أن يسوّلوا عفو فرنسا. وقد عوّض في الأمسيّة نفسها بالمحامي (ديروليد) من هيئة المحامين لمدينة الجزائر، فحكم على كلّ السجناء بسنة سجنا غير نافذة.

وكنت لا أتهاون في الجانب الرياضي الخاصّ بالأحداث مع الجانب المتعلق بنشاطاتي المهنيّة والسياسيّة، فالرياضة كانت بكيفيّة معيّنة سبيلا من جملة السبل التي تؤدي إلى الوطنيّة.

الجمعيات الرياضيّة والوطنية المناضلة

في نهاية القرن الأخير باشرت الحركة الرياضيّة الدوليّة إرتقاءها مع الألعاب الألمبيّة الأولى الحديثة (بأثينا). وكان (لي بارون دي كوبرتين) هو المنظم لهذه الألعاب التي حتما تكتسب فيما بعد شهرة عالمية معروفة لدى الجميع.

وبفرنسا إتخذت مبادرات شكلا لتمنح للرياضة المباريات الكبرى الحالية مثل دورة فرنسا (للدرّاجات). وسنة 1903 نظّمت جريدة (لوطو) ومديرها (السيد ديقراج) أول دورة الدّراجات بمشاركين أغلبهم حرفيّون وتوسّعت الحركة الرياضيّة من سنة إلى الأخرى إلى غاية توقّفها المفاجئ إثر الحرب العالمية الأولى.

وفي بلدنا، وبالنسبة للمسلمين فإنّ الرياضيّة الرسميّة قد بدأت سنة 1895 من خلال إنشاء " الطليعة ". فهذا النادي أنشأه شيخ عمار بن دحمان، وهو مستخدم بشركة (ليبون)، والذي تجنّس حتما لتأسيس هذه الجمعية الرياضيّة البدنية. إنّه معروف جدّا في الأوساط الرياضيّة. وكان يسيح في كلّ العواصم الأوروبيّة ضمن المسابقات الرياضيّة حيث يتحصّل فيها على نجاح تقدير. وقد جذب الكثير من جمهور الأوروبيّين الذين يرون فيه الجزائري الأول الأبيض وإذاك كانت الصورة المنتشرة هي أن كلّ الأفارقة سود اللون.

إنّ فرع الرياضة البدنيّة كان في عمرها (2) سنة لمّا سنة 1917 فقرّر الملازم الأول، وهو نفسه مواطن فرنسي من أصل مغربي، وعضو النادي، أن يؤسّس فرع كرة القدم على غرار النوادي الأوروبيّة فأنشأ (قالياسبور، وFC البليدة). وهذا النادي الجزائري الأوّل قد شارك بحظوظ متنوّعة في بطولة مدينة الجزائر أثناء سنةات 1917 و1918. وسنة 1919 أسّس عامل مختصّ بالقضايا التجاريّة السيد (بريزان) ناديًا رياضيًا غنيًا جدًا بأشخاص ممتازين يشار لهم بالبنان. إنّ هذا النادي نال عدة إنتصارات متغلّبا في أكثر الأحيان على النوادي الأوروبيّة. وفي 1920 حاول النادي " الطليعة " والنادي الرياضي لمدينة الجزائر الدمج، وكان ذلك دون نجاح لأنّ كلّ واحد يريد التمسّك برمزه.

وبعد فصل الخريف في غاية الصعوبة، وبنتائج غير مستحسنة، برزت إختلافات حادّة بسبب ماليّة النادي ممّا أثار سنة 1921 حلّه. وإستمرّت الطليعة في مسارها ودون إمتياز.

وفي بداية فصل خريف سنة 1921 الذي يوافق قرب المولد النبوي، جمع حمود عوف، وهو شاب يبلغ من العمر (19) سنوات، عدّة شبان جزائريّين وهم : علي أجوري، وبراهم درّيش، وبلعيد سعدون، والغارس، وأحمد جاود، و(لوبول جن) المسمّى يوسف الذي كان أهله فرنسيّين ولكن قد تربّى وسط عائلة من مدينة الجزائر، فكلّ هؤلاء الشبّان لم يبلغوا سنّ الرشد. وعينت الجمعية العامة كرئيس أكبرهم سنّا، وهو بن حدّاد الملقّب ماتو كما هو في الواقع صاحب دكان تجاري. وهكذا نشأت المولودية (ملودية نادي مدينة الجزائر).

وطلب النادي إنخراطه إلى إتحادية كرة القدم الفرنسيّة، ولكن بصفة مؤقتة، وهذه الإتحادية تنظّم كرة القدم بالقطر الجزائري، وفيما بعد بزمن قليل هبّت ريح الإنتفاضة في عمالة وهران تحت حثّ (S.C

بلعباس، والسيد (ليسبون) رئيس البلدية، فإنعقدت جمعية عامّة وقرّرت تأسيس فدرالية شمال إفريقيا لكرة القدم. وذطلب بعض نوادي مدينة الجزائر تحت رئاسة السيد (ريفي) الإنخراط إلى الإتحادية الخارجة عن القانون، وتمّ إلتحاق المولودية حينا بها، فالفائدة كانت معتبرة حيث المولودية ترى نفسها في ترتيب قسم الشرف مع أن الإتحادية الفرنسيّة لكرة القدم لم تقترح إلاّ قسما أسفل.

وفي آخر سنة 1922، تناول الحديث قادة الجمعية العامة، والمولودية، حول إمكانية دمج، فالتجربة مع النادي الرياضي لمدينة الجزائر تكرّرت، وإختلف النوادي فيما يخص مشكلة رمز النادي الجديد.

وفي 1925-1924 نشأ ناد جديد إسلاميّ (قاليا النادي البليدي). وقد تمّ التشطيب عليه من الإتحادية إثر أحداث خطيرة التي واجهها مع ناد أوروبيّ.

وبعد وقت قليل من هذا الحادث فإنّ الحاكم العام حرّر دورية بإتجاه كلّ عاملي القطر الجزائري ينصّ على ما يلي : لا تستطيع النوادي الإسلامية من اليوم فصاعدا ممارسة مباراة كرة القدم إلا شريطة أن يضمّ إليها ثلاثة لاعبين فرنسيّين.

وفي سنتي 1926-1925 رجعتا نوادي مدينة الجزائر إلى حض الأمّ، وأقدموا على لعب البطولية لمدينة الجزائر في النوع الثالث، وكانت من جملة هذه النوادي، المولودية التي قد غادرت إتحادية كرة القدم الفرنسيّة، وإنخرطت في إتحاديّة شمال إفريقيا لكرة القدم.

وفي تلك الفترة أربعة أقسام ترتّب الأفرقة هكذا : القسم الشرفي، والقسم الأول، والإمتياز، والنوع الثالث. إن النوع الثالث من السلسلة كان متكوّنا من ثلاثة أفواج. وفي سنتي 1927-1926 فإن

المولودية لم تحقّق نتائج جيّدة في القسم الثالث. وأثناء فصل 1928-1929 فإنّ وصول لاعبين جيّدين مثل : عمر خلوي، والإخوة حمود، وحبيب سكندراني، ورشيد دحمون، وأحمد سعيد، ومهنة رباعين، قد سمح للمولودية أن تنال رتبة الأول أمام مدينة الجزائر الأولبية البيضاء (ALBO) وكان ضمنها محمّد مستول، وهو لاعب الصنف الأول أين كنت أنا بالذات في السنة الأولى الخاصّة بصغير اللاعبين فالقسم الثالث يحتوي على (أولابيك) حجوط، وهو بطل فوج الغرب، والأبيار، بطل الوسط، والمولودية بطل الشرق، فالإثنان من هذه اللعبة الثلاثية ينتقلان إلى القسم الأعلى، وهو درجة الإرتقاء.وفي المباراة الأولى، قد فازت المولودية على الأبيار بهدفين لهدف واحد. وقد غلبت الأبيار من طرف حجوط بهدفين لصفر. والمقابلة النهائية بين المولودية وحجوط إنتهت بالتعادل على ملعب بوفريك. واللقاء الثاني من أجل نيل إسم البطل من الدرجة الثالثة في السلسلة وقع بالبليدة، وحاز عليه حجوط بخمسة أهداف لصفر.

وأثناء الفترة الصيفيّة التي تبعت، عيّنت الجمعية العامّة المجتمعة بنادي الترقي، سي محمود بن صيام كرئيس، وهو رياضي مقتنع، وقد إمتاز المولديّون تحت رئاسته.

وفي 1930-1931، لم تكن المولودية إلا بفارق نقطة عن زعيم بور إسمعيل، كما يفصل يوم عن نهاية البطولة. ويوم السبت، بارحة المباراة أصدر أمر من طرف دار الولاية إلى الملودية يقضي الحضور على أرضية الملعب مع لاعبين أوروبيين، وذلك تطبيقا لدورية الحاكم العام. وإذا لم تحترم المولودية هذا القرار سوف يعلن حتما بأنها أخلفت وعدها، فهذا الإجراء قليل الصفة الرياضية أستقبل بدهشة، وتثبيط من طرف القادة، والبعض الذين كان من عادتهم التحلي بسيرة مثالية قد أغرقوا مرارتهم في شرب الكحول.

ومنذ يوم الإثنين صباحا سعى قادة النادي بوساطة رجال سياسيّين من البلاد لمعاودة القرار من طرف والي الولاية. وفي تلك السنة بالذات كان المكلّف بالرياضات بفرنسا هو وزير البريد، (مورينو)، وهو نائب البرلمان لقسنطينة، والذي كان له رئيس مكتبه جزائري، مشري شريف : فإستقبل هذا الأخير وفد المولودية الذي يقود م.جاوت، وبعد عدّة تدخلات فإقتنع الوزير وإتخذ قرار تعليق الإجراء. ونظمت مباراة جديدة كإفتتاح اللقاء الذي من المفروض تكون المقابلة بين (قاليا) ضد ناد آخر أوروبي. ولسوء الحظ صار المولوديون في ذلك اليوم متصفين بالنكران، فتعرّضوا للخسران بهدف مقابل صفر ممّا سمح لحجوط، وبوسماعيل أن يرتقيا إلى القسم الأول.

وبالعكس فإنّ فصل 1932-1931 كان سنة بذخ حيث تحصّلت المولودية على البطولة بعشر نقاط فارق، وإرتقت إلى القسم الأول، وذلك رغم كفاح شديد، وحتى أحداث خطيرة ضد أولمبي خميس مليانة. وأثناء فصل 1933-1932 فإن المولودية أصابها ضعف بسبب التطبيق المجدّد لدوريّة الحاكم العام. وحسب الظروف، والتقديرات من طرف محافظة الشرطة المحلية فإنّه يطلب بإلحاح على حضور ثلاثة أو خمسة لاعبين أوروبيّين في الفريق الإسلامي، ففريق المولودية يتكوّن إجمالا من عبد الرحمان فارس الذي يزاول دراساته في التوثيق، ومن طالب آخر، (فقلين)، لاعب سابق بفريق (راسنق الجامعي للجزائر العاصمة)، ومن (كوستا)، لاعب سابق بفريق (قاليا)، و(ألبرقوسك)، وبن سعيد، وشرقي الذي قد خرج من صفوف النادي. وفي تلك سنة 1933 فإن فريق (ملعب مدينة الجزائر نادي بلكور) ذكر تحفظات فيما يخص المباراة التي يواجهها إزاء المولودية بحجة أن اللاعب بن سعيد يهودي فلم يكن مواطنا فرنسيّا. وقرّرت المولودية تعويضه وهي تسجل تحفظات مضادة، والمرافعة المقدّمة أمام المكتب الفدرالي

باريس منحت الحق للمولوديّة وإستخلصت إتحادية الشمال الإفريقي لكرة القدم بأنّ الإسرائيليين كانوا فرنسيين بصفة كاملة، فأعيدت المباراة ورجع الإنتصار إلى المولودية.

وفي 1934-1933، كان النادي تحت رئاسة بن صيام فتحصّل على إنجاز واحد ولكن رفيع المستوى، فإنه غلب فريق (راسنق الجامعي لمدينة الجزائر – RVA) الذي كان منتصرا عدّة مرات بهذه الكأس، وذلك في إطار تصفيات كاس شمال إفريقيا. وفي صفوف هذا النادي يلعب لاعبو كرة القدم ذو قيمة عالية مثل الإخوة (كوارد) الدوليّين، و(فاتا) و(لوكشين)، و(دوماس). وكانت النتيجة أربعة أهداف مقابل ثلاثة بعد تمديد الوقت.

وأثناء هذه المباراة كانت المولودية ممثلة باللاعبين : شالبابي مسعود، تحت إسم لاعب آخر، وبواجرة بشير. وقبل اللقاء فإنّ (RVA)، واثق جدّا بنفسه، لم يعبّر عن أي تحفّظ ولكن بعد إنتصار المولوديّة قد طرح مسألة شرح رسوبه. وعلم النادي فيما بعد بأيام بالتدليس الذي قامت به المولودية وطلب التحكيم أمام مكتب رابطة مدينة الجزائر، التي إستدعت الحكم في المباراة، وبواجرة من أجل المقارنة. إن اللاعبين شالباني وبواجرة يتشابهان حتى لو كان أحدهما أكثر سمرة من الآخر فالحكم صعب عليه أن يقف على الحقيقة.

وقد توصل بواجرة إلى إقناعه برباطة جأش شديدة قائلا : "تذكّر، سيدي الحكم كنت قبل نهاية الشوط طلبت منكم رخصة الخروج لضبط بريمات حذائي". فوافق الحكم. وأضاق شالبابي الذي كان طالبا بمدرسة الفلاحة في الحراش، حجّة لرواية المولوديّة والمتمثلة في تقديم شهادة حضور في درس يوم المباراة.

ولقد إقترح نادي (R.V.A) مبلغا ماليا ليصدّ المولودية عن دفاع قضيتها أمام المكتب علما بأنها تعاني مشاكل ماليّة. وهكذا إعتقد نادي (R.V.A) يتحصل على الإنتصار بواسطة عقوبة، فرفضت المولودية المساومة بكرامة وأثب المكتب إنتصارها.

والمباراة الآتية واجهت فيها المولودية ناديا صغيرا، (سبورتييق كلوب من مدينة الجزائر) بباب الوادي الذي إستسلم، رغم مقاومة جيّدة، بستة أهداف مقابل صفر. والدورة الأخيرة من تصفيات كأس شمال إفريقيا، الذي دارت بملعب (زيفاكو) في الحراش، رأت إنتصار الجمعية الرياضيّة لبوفريك على المولودية بهدفين مقابل صفر، إنّه إنتصار بائن ولكن دون إمتياز. وفي آخر الفصل نالت المولودية المرتبة السادسة.

إن الرئيس بن صيام الذي نال منه العياء والتثبيط، كما أثّر عليه النتائج المتوسطة جدّا، والمشاكل المالية على حدّ سواء، قرر الإنسحاب.

وحين إعلان الإستقالة فإن محند تيار تاجر من مدينة الجزائر في التجارة الصناعية، إقترح ترشيحه الذي قبله فورا مجلس الإدارة، وصادقت عليه الجمعية العامّة. وفي أول إجتماع مجلس الإدارة الذي إنعقد بنزل (موقدور) وهو ملك محند تيار، طلب هذا الأخير حالة مفصّلة لمالية النادي، كما طلب أيضا قائمة اللاعبين العاطلين من أجل أن يجد لهم عملا، وأيضا طلب قائمة اللاعبين الجيّدين الذين من الممكن للمولودية أن تلتمسهم، وهم في نواد أخرى، وذلك بمنحهم على الخصوص أعمالا. وهكذا إكتسب النادي بسرعة بالغة عدّة رياضيين أصحاب النوعية كالتالي : عابدو حسان من الإتحاد الرياضي للبليدة، وكرارسي، و(د.قوتارني) من الشبيبة الرياضي (لسانتوجان = بلوغين)، وبرزيق من الجمعية الرياضيّة من دلس، وحموتان من

(أولابيك تيزي وزو). وأمضى الجميع على إجازات من المرتبة (B) وهي لا تسمح لهم أن يلعبوا بعد في الفريق الأول. وأثناء فصل 1934-1935 برز لاعبون شبان، وعلى وجه الخصوص لاعب رياضيّ من أصل أرجتيني، إسمه (ألبور جوردان) يبلغ من العمر (15) سنوات، وميسوم الذي في عمره (16) سنوات، وهو يأتي من القاليا الرياضيّة لشلف. والإثنان قام بعمل حرفيّ ممتاز ضمن المولودية.

وبدأ فصل 1936-1935 بكيفية ممتازة للغاية للمولودية، وذلك رغم إنهزاماها أمام (ريد ستار لمدينة الجزائر)، والإتحاد الرياضي البليدي. وفي المباراة المعاكسة أخذت المولودية ثأرها على المنتصر في دورة الذهاب، ونالت عنوان بطل القسم الأول وأيضا تأهّلت لتعلب دور الإنسداد ضد أولابك حجوط، وهو في الرتبة الأخيرة من القسم الشرقي. والمباراتان الأوليتان فيما يخص دور الإنسداد واللّتان دارتا بالحراش قد إنتهتا بصفر. ومن أجل " المباراة الشيّقة " فإنّها جرت بالعفرون أين تمّ نقل المؤيّدين للمولودية على متن قرابة (30) حالفة. وفي آخر الدورة التي نالتها المولودية بنتيجة ثلاثة أهداف مقابل إثنين، فكان نوع من الهذيان في المدرّجات.

وأثناء فصل 1936-1935 قابلت المولودية (F.C البليدة) من أجل تصفيّات كأس شمال إفريقيا، فإنّ المبارات الأولى الخمسة إنتهت بصفر هدف، وقد وقعت ببوفريك ومدينة الجزائر. ولم تكن إلاّ المباراة السادسة بالحراش يوم خميس التي سمحت للمولودية بالتغلب على (FCB) بهدف واحد مقابل صفر.

إنّ المولوديّين قد ترتّبوا ترتيبا محترما أثناء هذه الفصول المتتابعة إلى غاية وقف المنافسات سنة 1939 بسبب الحرب.

ولقد أسّست نواد أخرى بين 1934 و1940 كالإتحاد الرياضي الإسلامي للجزائر العاصمة، والإتحاد الرياضي الإسلامي لحجوط، واللذان إستطعا عملية الإرتقاء إلى القسم الشرفي في أقل من ستّ سنوات مع أنّه إستوجب على المولودية (15) سنة للصعود إلى قمة المنافسة.

وأثناء سنوات الحرب 1942-1939 عوّضت البطولة بمعيار أين يلعب فيه النوادي دون إرتقاء ولا تراجع، ولم يكن الأمر العادي إلاّ في فصل 1944-1943 حيث عادت البطولة إلى مكانها المشرّف، غير أنّه كان من المستحيل للمولودية أن تمتازه فهذه الفترة كانت عهد ''التحايلات '' أين النوادي الأوروبية المختلفة سمحت لنفسها بالتداول لعنوان البطل.

وفي نهاية الحرب سنة 1945، قدّم السيد جاوت، نائب رئيس المولودية، ترشيحه لمكتب رابطة مدينة الجزائر، فإن النوادي الإسلامية لوحدها منحته أصواتها ولم ينتخب.

إنّ الوضعية السياسيّة قد تدهورت كثيرا بسبب حوادث القطاع القسنطيني، وصارالطلاق بين الاليتين أكثر فكثر بديهيّا، فهذا الجوّ على الأوساط الرياضيّة كان جليّا، والتي رأت فيه تحفيزا. ومن ثمّة فإن إنشاء جمعية النوادي الإسلامية صارت ضروريّة. وقد رأينا في تلك الحقبة الزمنيّة إزدهار جمعيات رياضيّة في كل مدينة من مدن داخل البلاد، وفي كلّ حيّ مدينة الجزائر. ومع ذلك لم يكن بالسهل الحصول على الإنخراط لأن رابطة مدينة الجزائر تفرض كثيرا من الشروط التي كان عدد من النوادي الجديدة يستحيل عليها أن يوفرها، فالمولودية جعلت في متناول هذه الجمعيات الجديدة رجلا ذا كفاءة، سي مؤلود جازولي، الكاتب العام الذي قام بمهمته بإقناع حيث كنّا نستطيع

تعداد في نهاية 1947 على ما لا أقل عن (40) ناديا جديدا. وقد منحت المولودية للنوادي المنتفرة بصفة بالغة، تجهيزات كاملة.

وفي سنة 1947، إجتمعت الجمعية العامة للمولوديّين لإنتخاب مجلس إداري جديد. وتطبيقا للقوانين العامة فكلّ مترشّح يستوجب عليه أن يكون على الأقل منذ ثلاث سنوات، عضوا في فرع : كرة القدم، كرة السلّة، الملاكمة، الرياضة البدنية، الكرة الطائرة. وقد قدمنا حسين عسلة، وأنا ترشيحاتنا من أجل أعضاء المجلس الإداري لكرة القدم. وبالنسبة للرياضة البدنية المترشحون كان م.بن يوسف وبن صيام، وحريزي. إنّ المكتب الذي إجتمع تحت رئاسة م.تيار وبعد مداولة إستخلص بأن حضور هؤلاء المترشحين الأربعة في المجلس، وهم معروفون بوطنيتهم وكمناضلين نشطاء في حزب الشعب الجزائري – حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، قد يخلق خطرا يلحق النادي بضرر في سيره الحسن.

ويوم الجمعية العامة المنعقدة بنادي المولودية في ساحة عمر القامة (شارتر)، إندفع كثير من اللاعبين، والمؤبّدين إلى القاعة. ولسوء الحظ فإن الفرعين – فرع كرة السلة، وفرع الرياضة البدنية – لم يكونا قويين بالقدر الكافي للتأثير على نتيجة الإنتخاب. وبدون مفاجئة، رأينا نحن مناضلو حزب الشعب الجزائري، والمسؤولون الرياضيّون، ترشيحاتنا مرفوضة. ولم يستنكرنا المولوديون المضادين للوطنية ولكن المولوديون الذين يضعون ناديهم فوق كل فكرة وطنية. ومن التصريح بالقول فإنّ بالنسبة لهؤلاء مناضلي الرياضة الإسلامية الإنتساب أو التأييد لهذا النادي الكبير كان في حدّ ذاته وف يتلك الفترة، يعتبر فعلا من الوطنيّة.

وبعد أيام لاحقة، ناداني عند مخرج النادي السيد (روز)، أمين مال النادي. وسرنا معا على طرف من الطريق إلى غاية ساحة الشهداء.

وكان السيد (روز) معروفا بإرتباطاته بدار عمالة مدينة الجزائر، والإستعلامات العامّة فصرّح لي فجأة: " أقدّركم تقديرا كبيرا. وأنا أعلم اليقين بأنّكم مسؤول ضمن حزب الشعب الجزائري. ولكم كلمة الشرف بأن لا أحدا يعلم ذلك منّي ".

وبالفعل فبعد عشر سنوات لاحقة، وأثناء أول إعتقالي سنة 1957 فإن الإستعلامات ترتّبني من ضمن الأشخاص الذين لم يكن لهم نشاط سياسي، ولا إرتباط مع حركة وطنية.

وأثناء سنوات كثيرة نفس السيناريو يجري بالجمعية العامة لرابطة مدينة الجزائر، فالنوادي الأوروبية التي هي دائما أكثر عددا من نوادي أهل البلاد (أي بني الوطن)، كانت تنجح على الدوام في إنتخاب أعضاء مجموعتها، إلى غاية اليوم الذي فيه (م.ساستر)، رئيس، إتحاديّة كرة القدم الفرنسية، والذي يتعرّض لعداوة زملائه الأوروبيّين، إلتمس حلفا إنتخابيّا لدى م.جاوت، فقد حاز السيّدان جاوت و(ساستر) على الدخول إلى رابطة الجزائر من خلال (50) صوت النوادي الإسلاميّة وقرابة عشرين أصوات النوادي الأوروبية.

وضمن المولودية هناك فروع أخرى رياضّية من غير فرع كرة القدم تتميّز، فستّ فرق كرة السلّة تشارك في لقاءات كلّ أسبوع، وهذا الفرع قد نال سنة 1948 كأس مدينة الجزائر أمام (كونسكرت جيمنستيك لحي مصطفى). وفرع الرياضة البدنية الذي تنافس مع كل نوادي مدينة الجزائر، وقد نجح وحصّل على أربعة إنتصارات في منافسات البدل لمدينة الجزائر، كما تحصّل على عدّة بطولات الجزائر، وشمال إفريقيا، والسباق على الأقدام (كروص – كونتري)، حتى أنه صار بطل فرنسا في الكروص، وكسب المرتبة الثانيّة السنة التاليّة

وبين سنتي 1948 و 1956 كانت المولودية النادي الوحيد الذي خطّط فرع الكرة الطائرة تحت قيادة الشهيد بن حدّاد، وفرع السباحة. وسنة 1953، وتحت رئاسة المغنّي حاج مرزق حاز فرع السباحة على بطولة القسم الثاني في كرة الماء (واتر-بولو) تحت قيادة مصطفى فخارجي. وفرع الملاكمة، الذي يسيّره الأستاذ عبد النور، كان أكثر إزدهارا بالقطر الجزائري بفضل أبطاله الكثيرين.

وفي تلك الفترة الزمنية أنشأ فرع رياضة الدراجات، تحت تحفيز سعيد أوشني، غير أنّه لم يعمّر طويلا. وقد أعيد تكوينه تحت رئاسة مجبري بن عيسى مع بوشالي بوعلام كأمين المال، ومحمّد كبير ككاتب عام. وحين تأسيس رياضة – الدراجة – الإسلامية (فيلو – صبور)، شارك كلّ لاعبي الدراجة من أصل جزائري تحت ألوانه في المنافسات وأثناء سنوات كثيرة حصد كلّ من عباس، وقبائلي، ومناد، وشرشالي، وعمر، وزاعف، النجاحات في بطولات الجزائر، وبطولات شمال إفريقيا، وبطولات فرنسا.

ومنذ 1920، رياضة السباق الجزائرية على الدراجات قد قدّمت وجوها عظيمة مثل البليدي أحمد رمادني الأسرع، وبدون شكّ الأكبر. ولقد كان بطل شمال إفريقيا على ميدان الحلبة، والمنتصر في كثير من الممارسات على الطريق منها بطولة مدينة الجزائر.

ونستطيع أن نذكر أسماء كبيرة من أصحاب الساق على الدرّاجات أمثال : بصادي، الفائز في التجربة المقياسيّة (كريتيريوم) لجريدة ل (إيكو دالجي)، وسنوسي من البليدة. وكيبيلان، المتخصّص في سباقات على مراحل. وجلالي هو كذلك حاز على كثير من الإنتصارات في السباق ليوم، وعلى المراحل على حد سواء. وأثناء جائزة كبيرة لمدينة عنابة، وعلى ست مراحل السباق فإنّه حاز على خمس مراحل تاركا إلاّ واحدة للفرنسي (برنار).

وفي سنة 1956 حسب واقع الحرب وأيضا الأحداث التي وقعت بملعب بولغين، فإن المولودية أخذت مثال (JSEB) لإتخاذ قرار وقف الممارسة الرياضيّة ؛ فكلّ النوادي الإسلاميّة طبّقت القرار بإستثناء المولودية، والعمالة الرياضية لباتنة، والوفاق لمدينة سطيف الذي كان رئيس بلديتها جزائرية، السيدة كبتان.

ونستطيع أيضا نحتفظ ببعض التواريخ المؤثّرة في تاريخ الرياضة وأثناءها إمتاز الجزائريون إمتيازا لامعا تحت شعار " فرنسي ".

وفي سنة 1928، ومساء البارحة لإختتام الألعاب الأولابية بمدينة (أمستردام)، لم تتحصل فرنسا بعد على أي مدالية، وهي ممثلة في كلّ المنافسات. وكلّ الناس ينتظرون في اليوم الأخير من الألعاب، أجمل ممارسة رياضيّة ألا وهي (المارتون)، أي السباق على الأقدام على طول المسافة. وكان المرجحون للفوز هم الفلنديّون، والسويديّون غير أن الفائز كان " الفرنسي " الوافي المنتسب لبسكرة، فكان مغتربا، وعاملا يدويا في مصنع بباريس. ولهذا الإنتصار كانت المدالية الوحيدة التي نالتها فرنسا.

وفيما يخصّ المسابقة على الأقدام ما بين 1927 و 1934 فإنّ الجزائر شاهدت أيضا " أبطال فرنسا " الكبار، أمثال بدّاري صغير، بطل فرنسا ثلاث مرّات، الإخوة عربيدي I وII بطلا فرنسا في مسابقة الأقدام الطويلة (كروص)، والفائز في المسابقة الكلاسيكية (باريس – فرساي) على التوالي.

وفي ميدان الملاكمة قد برز أبطال كبار دون جدال ما بين 1928 و1930، والأكبر كان بوب عمار، بعد ما غلب أحسن الملاكمين الفرنسيّين، والأوربيّين، وصار في الترتيب التحدّي لبطل العالم في وزن

الذبابة، (يونق بيريس)، يهودي تونسي. ووافاه الأجل سنة 1932 بعد حمام بإرغام في حوض ماء ثلج بمليانة.

وفي نفس الفترة كان بوب يوسف بطل فرنسا في وزن نصف – ثقيل. وقد واجه ملاكمين من أعلى صنف وحتى من صنف الثقيل مثل البطل (موإيز بوكيون). وفي المقابلة التي تنافسا فيها قد ثبت إلى غاية الحد الوقت. أمّا (بوكيون) إنسحب حتما من المنافسة بعد اللقاء حيث تكسّرت رسغه على رأس بوب يوسف.

وكان عمار قويدري أيضا بطلا كبيرا، فغلب أحسن الملاكمين الأوربّيين، غير أنه خفق أمام (م.سردان) في ستّ دورات.

وفي 1940-1939، شاهدنا عمار الأسود، هو ملاكم رائع، قد إرتقى إلى رتبة بطل فرنسا. ولسوء الحظ، لمّا المنافسات إنتهت، والتمجيدات سكتت فإنّ هؤلاء الرياضيّين سقطوا في طي النسيان.

قضية (الكارنا)

وفي جانفي 1939، طلب أوعمارة لمعروف بومدين من تلمسان أن يخبر مصالي بتأسيس (الكارنا، وهي لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا). ولمّا علم رئيس حزب الشعب الجزائري بالقضية ثارت ثائرته بصفة عنيفة وإشترط إستقالة مناضلي هذا الفوج.

وفي جانفي 1938، إتّصل راجف بألمانيين للحديث عن إعانة محتملة في حالة الحرب سنة 1938 بواسطة أوعمارة محمّد، وإلتمس في هذا التوجيه إعتماد مناضلي مدينة الجزائر، الذين يكوّنون في الواقع القاعدة الأكثر عددا للحزب.

إنّ أعضاء (الكارنا) قد إجتمعوا حول نفس الفكرة، ونفس الشعور بأنّنا لا نستطيع كسب إستقلالنا لنا إلا بالحلف مع دولة عظمى، عدوة لفرنسا، كألمانيا، فموقفنا ليس له أي إرتباط مع البرنامج السياسي الذي ينتمي إلى النازية. وكنّا نعتقد بأنّ هذا الحلف هو وسيلة كفاح أكثر نجاعة ضد الأنبريالية الفرنسيّة فصادقنا إجمالا على المثل القائل بأن عدوّ عدوي هو صديقي. ولم ننخرط أبدا للسياسة المضادة لليهود، التي أتبعها المريشال (بيتان) و(هتلر)، حيث كنّا نقوم بعلاقات طيّبة مع إسرائلي مدينة الجزائر. ولمّا كنت الوحيد الذي لم يلتحق بعد بالفوج فطلبني مصالي ليمنحني منصب الكاتب العام. وكانت إجابتي واضحة، فمن الضروريّ الإستماع قبل كل شئ للمعزولين : وإلى الأسباب التي من أجلها قد أسّسوا (الكارنا). وكنت أخبرت بالموازاة

طالب بأنّي متضامن معهم، وإنّي لا أرضى بمنحة مصالي. وكان إذاك في عمري (25) سنوات، ورسميّا، أعضاء (الكارنا) كانوا معزولين من حزب الشعب الجزائري، ولم يكن لهم كلّ إتصال مع الحزب وكانوا يجتمعون عاديّا بمكان في بلوغين إسمه " دوشامو " وقت المساء على وجه الخصوص، أو بغابة بينام، فالمشاركون في هذه الإجتماعات دون رئيس الجلسة ولا كاتب هم : مسعودي عمر، وأوعمارة محمّد، وصهر، زاحوال محمّد، وحمزة عمار، وطالب محمّد، وفليته أحمد، وكسّي شريف، ومكيداش، وياسين عبد الرحمان، وبولكروة موسى، وزاوي عليّ، وأنا بالذات.

وأثناء سنة 1938 وقعت إنتخابات الدوائر في مقاطعة مدينة الجزائر التي كانت حينئذ مكوّنة من العاصمة ونواحيها إلى غاية مدينة الثنية.

إنّ المترشّحين كانوا من جملة المناضلين المعروفين أكثر من الأحزاب المنافسة بمدينة الجزائر وهم : أوزقان من الحزب الشيوعي، ولمين العمودي من المؤتمر الإسلامي، ومصالي من حزب الشعب الجزائري. ورغم عزلنا لقد شاركنا بنشاط في إنتخاب مصالي. وبمدينة لربعاء أين كنت حاضرا لاحظت بأنّ المصوّتين يسعون بذكاء لعدم مواجهة الإدارة. وفي نهاية التصويت، فإنّ ركام أوراق الإنتخاب الخاصة بمصالي لم تنفد بعد مع أن ركام مترشّحي الإدارة، والأحزاب الأخرى نفدت، فكنّا على حفرة الكارثة. والمفاجئة الكبيرة كانت من نصيبي حيث عند الفرز أكثر أوراق الإنتخاب بنسبة (60%) كانت تحمل إسم مصالي. ولسوء الحظ صرّحوا بأنّه غير قابل للترشيح لأنّه مسجون فألغي إنتخابه.

وفي سنة 1939، جاء إلى مدينة الجزائر (موريس طوريز) الكاتب العام للحزب الشيوعي الفرنسي ليترأس إجتماعا جماهيريا، الذي وقع

ببهو السيارة الموضوعة بساحة أول ماي. وفي خطابه مجّد الصداقة الفرنسيّة — الجزائرية. وكذلك المطالب الإجتماعية للشعب الفرنسي، والسّكان الجزائريين. وشرح الخطيب نظرية الحزب الشيوعي الفرنسي الجديدة فيما يخصّ أصالة حالة القطر الجزائري : لا يوجد شعب جزائري لأنّ هذا البلد يقطن به سكان متنوعون : هناك فرنسيّون، وإسبانيّون، وإيطاليّون، ومالطيّون، وعرب، وقبائل (أمازغيون)، وأتراك، وميزابيّون. وفي اليوم الذي يتحقّق إتحاد هذا التنويع في السكان ففي هذا اليوم بالذات فقط سوف يقال بأن الشعب الجزائري موجود. وكلّ ما نستطيع أن نقوله في هذا الوقت هو أنّ الجزائر أمّة في طور التكوين.

وفي آخر السنة تأزّمنت الأحداث الدولية مع قضية (Sudètes)، إنّ هذا الإقليم من أصل ألماني قد تمّ ربطه (بتشيكوسلوفاكيا) من خلال عقد (فيرساي) سنة 1919، فألمانيا بعدما إسترجعت تكوين قوّتها العسكريّة طالبت بإقليمها وإستولت عليه سنة 1938، وكذلك على كل باقي (تشيكوسلوفاكيا) رغم إتفاق التوقيع مع (بناس) رئيس البلاد المعنيّة. ولم تتخذ فرنسا، وأنجلترا أي إجراء ضد ألمانيا، وهكذا وقع تجنب الحرب.

وفي سبتمبر 1938، إنعقدت الجمعية العامة لجمعية العلماء، إستوجب عليها أن تحكم التزاع ما بين العقبي وشيخ بن باديس، رئيس الجمعية الذي يحاول إعداد خطّة سياسيّة أقرب من الوطنيّين خلافا للعقبي الذي ينشد موقفا ينحاز للفرنسيين كليّا. وحين المناقشات الأولى فالعقبي الذي سانده بعض العلماء، وضع توصية موافقة للحكومة الفرنسيّة، وهو يساند الحكومة الفرنسيّة، والحاكم العام في تلك الحقبة الخطيرة لأوروبا، ويصرّح هكذا " بأنّ كلّ الشعب الجزائري وفيّ

ومستعدّ للمحاربة من أجل فرنسا، كما يشكر فرنسا على حبّها للجزائر، وعلى الخيرات التي بذلتها لبلادنا ".

ودون أن ينتظر بن باديس التصويت على التوصيّة فإنّه قاوم بعنف مصرّحا أنّ فرنسا لم تسد أبدا خيرا للجزائر، ولا نحارب أبدا أعداءها. وحين تلك اللحظة تأزّم الخصام، وإستقال العقبي من الجمعية.

وفي بداية سنة 1939، حاول حزب الشعب الجزائري تنظيم نفسه، وبعد إلغاء إنتخاب مصالي من طرف مجلس دار العمالة، وقع الإختيار على دوار محمد البالغ من العمر (35) سنوات، وهو محصّل مالي بشركة النقل العمومية على السكك الحديدية، كمترشح حزب الشعب الجزائري في إنتخابات الدوائر لشهر أفريل 1939. وبعد كفاح ضد الشيوعيّين، والذي شارك فيه أعضاء (الكرنا) بصفة شبه رسمية، فاز دوار بالإنتخاب فوزا باهرا.

ولقد نظّم (الكرنا) عدة إجتماعات ببولغين تحت الأقواس، بحي بينام من أجل الحديث حول تدهور الوضعية الدوليّة، وإمكانياتنا الخاصّة بالكفاح. وآخر إجتماع وقع في 15 ماي 1939. وتمّ القرار على بعث وفد مكوّن من أربعة أعضاء إلى ألمانيا بقصد التفاوض فيما يخصّ علاقاتنا المقبلة مع الحكومة الألمانيّة. والأعضاء الأربعة هم : فليتة أحمد، وم.مكيداش لخضر، وم.طالب، وحمزة عمار، كما تقرّر زيادة إستعداد وفدين للذهاب حين رجوع الوفد الأول، فالوفد ذهب عبر باريس، ولوكسبورغ، والغابة السوداء. وقد تخلل الرحلة حدث واحد. وفي ناحية (لورين) أطلق الجمرك الفرنسي بعض طلقات نار، ولكن دون تأثير على المناضلين الأربعة. وحين وصولهم إلى برلين فإنّ مضيفهم نصحوهم بأن لا يتكلّموا إلاّ بالعربية لأنّ بلاغا يقدّمهم كيمنيين. وبعد عدّة أيام من المحادثة، تلقوا تكوينا في التخريب.

وإستعمال السلاح، وفي جويلية عاد الوفد إلى مدينة الجزائر بتعليمة توصي بعدم بعث وفد آخر لأن الحرب وشيكة الوقوع. وعيّن موعد في اليوم العاشر من الحرب، وسوف يأتي ممثل ألماني إلى البرج XV على الساعة العاشرة صباحا لمنح تعليمات.

وفي نفس الوقت أطلق سراح زكريا، ولحول، ومصالي بعد عامين من السجن، فلحول نقل إلى الجنوب لقضاء الخدمة العسكريّة، أمّا زكريا فلم يعرف حرجا إلى غاية آخر إعتقاله سنة 1956.

وفي سبتمبر 1939، أعلنت الحكومة الفرنسية حلّ حزب الشعب الجزائري، فألقي القبض مجدّدا على مصالي، وإلى حدّ الآن، وحسب الحاج عمار حمزة الذي نقل لي الخبر فإنّ مصالي كان قليل الإقتناع من حدوث وشيك للحرب.

وحسب تعليمات الألمان فإنني إختلفت إلى برج XV في 10، و11، و12 من الأيام، ولكن لا أحدا تقدّم. وإختلف أيضا طالب نفسه عدّة مرات إلى الموعد، ولكن دون نتيجة قطّ.

وفي بداية 1940، ألقي القبض على مناضلين كثيرين ومنهم : دوار محمّد، من فرع شركة النقل العمومية (CFRA)، وجنادي سماعيل، وهو صبّاغ بالمباني، ومناد من بوفريك، بطل رياضة الدراجات، وشيخ بلعيد، وفليته من بوفريك، وبومعزة من قسنطينة. فالأربعة الأوائل قد وافاهم الأجل بمرض تيفوس أثناء إعتقالهم بسجن باب عروج سنة 1941، فلم يبق بمديرية حزب الشعب الجزائري إلاّ : المقري، ولمين دباغين، وخليل عمر، وحفيز دحمان.

وبعد هذه الموجة من الإعتقالات فإن المنظمة أعدمت بالتمام، ونشاطها إنحصر فقط في جمع الأموال لإعانة عائلات المسجونين.

وفيما يخصّني فقد نادوني من طرف الجيش وعينوني بالفرقة (81) تحت قيادة الجنرال (دي قواسلارد، دي موبصارت).

وذهبنا نحو قفصة بالجنوب التونسي، وأثناء تلك الفترة التي تصادف شهر رمضان قد عارضتني مشاغبة للنقيب الذي أتى مرة مبتهجا يخبرنا بأن " فتوى " المفتي الكبير للقطر التونسي يعفينا من القيام بالصوم، فرفضت تطبيقها معلنا بأنه في الدين الإسلامي لا يوجد أي ممثل للإله على سطح الأرض ليملي سيرتنا. وقد ساندت نفس الموقف فرقة القطار، التي هي من قسمنا، وبعد أربعة أيام من الصوم دون حق "السحور"، كسبنا حقنا، وقرّر القائد إبطال " الفتوى ".

وتحولنا فيما بعد إلى قرية عين تونين بجنوب قابس قرب مدنين أين يوجد "خط مارث"، هو خطّ مقويّ على الحدود التونسيّة – الليبيّة، كما هو يحمل إسم دوار قريب، وكان الطقس معتدلا، ونسكن في معاقل وأمّا المكاتب فكانت موضوعة في خانقاة.

وبفضل الجيش علمت أيضا الكيفيّة التي من خلالها يحكم الفرنسيون على بعض الشخصيات الجزائريّة. ولقد قررت يوما، وأنا في الحراسة بالمكاتب، أن أفتّش وثائق المقتصد.

وقد وجدت وثيقة رسمية سريّة ترتّب الرجال السياسيّين الجزائريّين الأكثر خطورة على السيادة الفرنسيّة. وكانت المفاجأة الكبيرة بالنسبة لي، أنّ إبن باديس سجل في رأس القائمة، ويتبعه مصالي. وبالعكس فإن العقبي كان يعتبر كأكبر صديق لفرنسا. ويصرّح الجنرال (كاتروكس) في هذه الوثيقة، وهو قائد القوات الفرنسيّة بالشرق الأدنى سنة 1917 : " العقبي عمل مع الجيوش الفرنسيّة بالحجاز ليثور العرب ضد الأتراك. ولم يوجد هناك أبدا سوء تفاهم بينه وبين القيادة الرئيسية. إنّ الفرنسيّين من قهم أن يعينه ويسانده أينما أجد ".

وهناك قصّة أخرى مرتبطة بإقامتي بعين تونين، وكانت في شهر ماي 1940، قليلا بعد تصريح حرب إيطاليا ضد فرنسا. وعند صفارة الإنذار ذهبت أحتمي في المعاقل تحت الأرض لمّا وجدت نفسي وجها لوجه مع الجنرال (شيفاليي)، قائد القسم، الذي إستنطقني فيما يخص : إسمي، ومحل التعيين، والرتبة لأني كنت لا أحمل أي إشارة على أكمامي. وفي الوقت الذي إعتقدت أن الإستنطاق قد إنتهى وجه إلي بالعربية : " أنت عربي أم قبائلي " ؟ فأجبته بالعربية : " لست أدري " ثم فسّرت له بالفرنسية حيث أنني مواطن بدلس، مدينة واقعة جغرافيا في منطقة القبائل فإنّ السكّان لا يعتبرون أنفسهم قبائل (أمازغيين) ولا يتكلمون (الأمازيغية)، فبقي منصعقا.

إن إختلافات التعامل بين فرنسيّين، وجزائريّين كانت إضطرارية في الحياة المدنية والجيش على حدّ سواء. وهناك دورية تعيّن بوضوح لكلّ رتبة وأقدمية الأجر غير أن الأجر كان دائما ناقصا للعسكريّين الجزائريّين، فأخبرت بذلك هيئة العمال العسكريّة، وكلّهم ندّدوا بالظلم ولكن دون جدوى ".

وعند المعلومات بإخفاقات فرنسيّة، كنت سعيدا، وفي 18 جوان 1940، وقّع الماريشال (بيتان / الهدنة. وكنت مبتهجا ليس فحسب بإنهزام المستعمر الفرنسي ولكن أيضا بالعودة إلى أهلي. وبتاريخ 26 و27 جوان أخذنا القطار من قابس عبر صفاقس، وتونس، ووصلنا إلى مدينة الجزائر في 30 جوان، أين وقع التسريح من التجنيد.

وفي شهر ماي 1940 قد عيّنت جبرا إدارة دار الولاية (العمالة) للإقامة المحروسة، مناضلين من حزب الشعب الجزائري، والحزب الشيوعي الجزائري، والعلماء، والنقابيّين إلى (جنين بورزق) بالجنوب الوهراني.

وبالنسبة لحزب الشعب الجزائري كان الأمر يعني : مزغنة، وحمزة عمار، وشادلي مكي، وأخوه أحمد، وغرّاف براهيم، وأحمد بودة، وبن سلطان من مغنية، وسي جلماسي من تلمسان، والإخوة عيسات الثلاثة، وبرادعي عبد الرحمان، وعبد القادر، وبوسنّة ساعد، وبركاني من باريس، ويحياوي علي من البليدة. وبالنسبة للشيوعيّين : أوزقان عمر، بن علي بوكرت اللذان عيّنا جبرا وكذلك النقابيّون : لعربي بوهالي، ودالي باي. وبالنسبة للعلماء : شيخ صالحي الذي هو أيضا خضع للتعيين الجبري بجنين بوررق.

وفي آخر شهر جوان 1940 إلتقينا أنا، وطالب، وأوعمارة في مقهى بالأستاذ صالحي شريف والطيب أوكلي الذي كان وطنيّا رغم حالة أبيه الذي كان رئيس الأهالي الجزائريّين المتجنّسين الفرنسيّين.

وكان شريف صالحي، مؤسّس مجلّة (إفريقيا) المطبوعة بباريس ما بين 1937 و1938، وكان حمزة مراسلها بمدينة الجزائر. وقد أثار شريف صالحي دهشة طالب، وحمزة، وأنا بسبب الكيفيّة التي قدم بها نفسه إلينا. وقد إستقبلناه في إحدى دور القصبة الصغيرة، وعندما فتحنا له الباب فإنّه إتّخذ هيئة الإستعداد مع تحية على النمط النازي، بذراع مرتفعة. وأعلمنا أنه من " أنصار هتلر " (هللري)، وقد حضر المؤتمر الأخير بمدينة (نورمارغ) سنة 1938، فطلبنا منه إذا كان لديه فكرة عن موقف ألمانيا فيما يخصّ بلدنا، فأجابنا بأنّ عن قريق سوف يصل الفائزون ضد فرنسا إلى الجزائر مع كلّ أسطولهم. وطرح علينا صالحي وواكلي مسألة معرفة مصير قانون منطقة القبائل العام في حالة الإستقلال، وأجاب أوعمارة سوف يصير ككلّ الجهات الأخرى في البلاد.

ونحو نهاية جويلية 1940، أضاع الحزب الشيوعي الجزائري كاتبه العام، ك. بلقائم.

وفي تلك الفترة، إجتمع (الكارنا) لمناقشة ما هو مصير الحلف مع ألمانيا، وقرّر أن يستفسر لدى لجنة الهدنة التي تستقرّ بنزل (آليتي). ومن أجل الأمن أكثر فيما يخص الرسولين المكلّفين بالمهمة فإنهما يستوجب أن يكون بإمكانهما التشبّه بالأوروبيّين وكنّا إثنين يتوفّر فينا هذا الشرط، أوعمارة، وأنا. فلبسنا بدلة ورابطة العنق، وقبعة حتى نمرّدون إنتباه إلينا. وكان مناضلان إثنان يقومان لضمان حمايتنا. وفي بهو النزل طلب أوعمارة للضباط في لغة ألمانية المتردّدين مع غاية التردد. وبعد بعض دقائق أتى الضابط وإثر تقديمنا فإنه صاح عدة مرات " مجانين إنّكم مجانين لتأتوا هنا ". ووعدنا بمقهى (يالما) في شارع عبان رمضان.

لقد شرحنا له العلاقات التي توجد بين بلده، و(الكارنا)، وهدف زيارتنا، فلم يكن يعلم بالقضيّة، ولكن حيث هو ذاهب إلى باريس في المساء نفسه سوف يطرح المسألة، وعند عودته سوف يعلمنا. وفي الواقع كان لقاؤنا الوحيد. وغادرنا المقهى مع توتر الأعصاب حيث تصوّرنا جزئيا الخطر الذي تعرضنا له.

وأثناء شهري جوان، وجويلية إنتظر كلّ سكّان مدينة الجزائر على جبهة البحر وصول الأسطول الألماني. إنّنا ندرك ما مصير هذه الرغبة التقية الذي كانت تريد من الألمان أن يموتوا من أجل إستقلال الجزائر.

في سنة 1941، كان (الكارنا) ومثله حزب الشعب الجزائري في مرحلة ركود تام في الوقت الذي كان الشعب الجزائري يساند الألمانيين وينتظر النصر الكامل لهتلر.

وكنت أملأ وقت فراغي الحرّ مع فرع كرة السلّة، وإثر طلب لاعب من المولودية، واحيد محفوظ، تقلدت خلافة صديقنا فويلا،

وفي تلك الفترة، إجتمع (الكارنا) لمناقشة ما هو مصير الحلف مع ألمانيا، وقرّر أن يستفسر لدى لجنة الهدنة التي تستقرّ بنزل (آليتي). ومن أجل الأمن أكثر فيما يخص الرسولين المكلّفين بالمهمة فإنهما يستوجب أن يكون بإمكانهما التشبّه بالأوروبيّين وكنّا إثنين يتوفّر فينا هذا الشرط، أوعمارة، وأنا. فلبسنا بدلة ورابطة العنق، وقبعة حتى نمرّدون إنتباه إلينا. وكان مناضلان إثنان يقومان لضمان حمايتنا. وفي بهو النزل طلب أوعمارة للضباط في لغة ألمانية المتردّدين مع غاية التردد. وبعد بعض دقائق أتى الضابط وإثر تقديمنا فإنه صاح عدة مرات " مجانين إنّكم مجانين لتأتوا هنا ". ووعدنا بمقهى (ياللما) في شارع عبان رمضان.

لقد شرحنا له العلاقات التي توجد بين بلده، و(الكارنا)، وهدف زيارتنا، فلم يكن يعلم بالقضيّة، ولكن حيث هو ذاهب إلى باريس في المساء نفسه سوف يطرح المسألة، وعند عودته سوف يعلمنا. وفي الواقع كان لقاؤنا الوحيد. وغادرنا المقهى مع توتر الأعصاب حيث تصوّرنا جزئيا الخطر الذي تعرضنا له.

وأثناء شهري جوان، وجويلية إنتظر كلّ سكّان مدينة الجزائر على جبهة البحر وصول الأسطول الألماني. إنّنا ندرك ما مصير هذه الرغبة التقية الذي كانت تريد من الألمان أن يموتوا من أجل إستقلال الجزائر.

في سنة 1941، كان (الكارنا) ومثله حزب الشعب الجزائري في مرحلة ركود تام في الوقت الذي كان الشعب الجزائري يساند الألمانيين وينتظر النصر الكامل لهتلر.

وكنت أملأ وقت فراغي الحرّ مع فرع كرة السلّة، وإثر طلب لاعب من المولودية، واحيد محفوظ، تقلدت خلافة صديقنا فويلا،

مسؤول ومدرّب فرع كرة القدم. وكان قليل الحماس ليشتغل بفرع صغير مثل فرع كرة القدم. وهناك تعرّفت على عبد المالك تمّام، وزير المالية مستقبلا، ولكن لم يكن متحصّلا إلاّ على شهادة الدراسات الإبتدائية، وعلى عسلة حسين، وهو مسيّس حيث كان سابقا كاتب عام لشبيبة المؤتمر الإسلامي. وقدّمه إليّ نايت قاسي عبد القادر، نائبي بالمولودية، فهو رجل جادّ، وصاحب أفكار سياسيّة متقدّمة. ومنذ السنة الأولى حاز فريق كرة السلّة على البطولة الخاصّة بالترقية، وإرتقى القسم الأعلى.

وفي مارس 1941، حكم على مصالي بعقوبة (16) سنوات من الأعمال الشاقّة، وأرسل إلى سجن تازولت (لابيز). وبالنسبة للمتهمين معه فإنّ العقوبات المسلّطة كانت تتراوح بين (5) إلى (10) سنوات سجنا.

وقرر (الكارنا) حينئذ بعث أحد أعضائه إلى باريس للإطلاع على سبب السكوت الألماني. وقد إلتقى أوعمارة، المكلّف بهذه المهمّة، بأحد مسوؤلي (كومنداتور) وفي الواقع كان الألمان يأملون في تأسيس فرع بمجموعة سريّة لا غير للحصول على معلومات مدنيّة وعسكريّة (من العدو)، والمبادل فإن الخدمات سوف يدفع ثمنها بسخاء. فأجاب أوعمارة حينا، وهو هادئ الأعصاب بطبعه، بأنه أثناء خلاصة هذا الحلف لم تطرح مسألة المال. إنّ الهدف الوحيد كان، من خلال أعمال متفق عليها، هو إضعاف القوة الفرنسيّة، والحصول على إستقلال الجزائر بصفة أسرع. وعلى وقع تتابع هذه العبارات التي لا نهاية لها غادر أوعمارة (الكومنداتور) وبعد جواب (الكومنداتور) الألماني إنسحب أعضاء (الكرنا) من المنظمة. ولم يبق قطّ إلاّ طالب، وأنا ثم إلتحق بنا مناضلون آخرون : عسلة حسين، شيخ أحمد بن الحسين،

وهو معلّم بالعربية في الموصلية، وهي جمعية الموسيقى الأندلسيّة، وحليت عليّ، وسيد علي عبد الحميد، وتمام عبد المالك، وحاج شرشالي، وغرافة براهيم ولكن لم يحدث عمل إلى غاية بداية السنة 1942.

وإغتنمت فرصة هذه الفترة الهادئة لأتزوّج بالآنسة بن توري خديجة فالزواج وقع في 14 فيفري 1942، وبفضل صديقي، أمحمد صفاقسي إستطعت كراء غرفة في داره بالقصبة. وحتى في تلك السنة 1942 كانت أزمة السكن حادّة. وقد عاشت أمّي بصعوبة مغادرتي للمترل العائلي. وأثناء ترحيلي للأثاث فإنّها صرّحت لي جليا بأن هذا النهار يذكّرها بمغادرة أخي الشاب، محفوظ الذي توفي منذ ست سنوات خلت.

وأثناء كلّ هذه الفترة، قرّر المناضلون الإشتغال بصفة متنوّعة، فطالب أخذ فرع كرة السلّة المنتسبة للإتحاد الرياضي الإسلامي لمدينة الجزائر. وفي بداية 1942 لاحظ بأن عددا مرتفعا من سكّان العاصمة يتعاطون الكحول. ولقد توصل أن يقنع شبانا آخرين بضرورة تطهير القصبة، وكوّن مع رابح زاعف مليشية لطرد هؤلاء المذنبين المتكلكلين''. وكلّ الذين قد تأخّروا من أجل السّكر شاهدوا العصي تنهال عليهم ثم يساقون بالقوة إلى منازلهم. وحتّى أعضاء من أسرتي، وهم هواة خمر كبار، فقد رأوا درس عقاب من طرف فئة زاعف. وبعد عدّة مداهمات أصبحت القصبة تطبيقا تشبه المسجد.

وأثناء سنة 1942، وبواسطة علاقة طالب، تعمل بقنصلية إيطاليا تمكّنا من الإتصال بالقنصل، فوقع اللقاء ببولغين بمترل سيد أحمد مصطفى باشا، من أخلاف عائلة الباي. وفي هذا اللقاء قد علمنا من القنصل الذي هو برتبة جنرال، بأن بدلان المغرب قسمت إلى أربع

ناحيات : القطر التونسي وقسم من القطاع القسنطيني سوف يرجعان لإيطايا، والقسم الثاني إلى فرنسا، وعمالة مدينة الجزائر لألمانيا، وغرب البلاد إلى إسبانيا. وبالنسبة إليه فهذا القرار كان لا رجعة فيه، ولا نستطيع فعل أي شئ ضده. وفيما بعد ببعض الشهور أثبتت جريدة إيطالية التقسيم المقرّر. وسلّم لنا في آخر اللقاء غلافا يحتوي على مبلغ من المال الذي للأسف أخذه خلسة مناضل أتى من باريس لمساعدتنا. وقد حكم عليه أمام محكمة (الكارنا)، وعوقب بالموت. و لم يسلم من الإعدام إلا بفضل تدخلي حيث إستطعت أن أقنع طالب، وأوعمارة با، الجثّة سوف تكتشفها سريعا الشرطة التي لا تتواني في القيام بالبحث في الوسط الوطني.

فرع الشبّان والصحافة المناضلة

إنّ السنة 1942 صارت ما يقارب الغموض، وعند عدم أي نشاط بالتمام في (الكارنا) فإنّنا كنّا نجتمع في بعض المرات بنادي الموصليّة لتغذية جزعنا.

وفي 8 نفمبر 1942 إستيفظ أهل مدينة الجزائر على أصوات نوبات الإنزال البحري الأنجليزيّ – الأمريكيّ، وكذلك إستيقظ أنصار دغول. وأمّا أنصار بيتان فيحاولون الإختفاء من خلال النسيان. إنّ الأميرال (درلان) في مهمّة بمدينة الجزائر، والمختفي مدّة أيام ثمّ إستسلم للتفاوض مع الحلفاء. وإثر هذه الأحداث فغز الألمان جنوب فرنسا. ومنذ 15 نوفمبر 1942، قرّر ممثّل الحكومة الفرنسيّة بالجزائر تجنيد فيلف الجيش XIX، أي جيوش شمال-إفريقيا.

وسمح لنا هذا القرار بمعركة جديدة ضد السياسيّة الفرنسيّة بواسطة القيام بجملة من أجل عدم الإخضاع (للتجنيد). وقد طلبونا طالب وأنا للتجنيد ولكن رفضنا الإلتحاق بالثكنة.

إن الحملة حدثت سريّا من خلال اللسان والأذن وعرفت نجاحا معتبرا، فتكوّن أول عمل سياسيّ للكرنا. وحين بداية السنة 1943، قرّرنا تأسيس حركة شبانيّة بالقصبة تحت مسؤولية طالب. وبفضل نشاط مفعم بالحيويّة فأنشأ عدّة فروع أخرى بالضواحي، في بلكور، والمرادية، وقد شاركت فيما يخصّني مع عسلة في تأسيس مكاتب.

وبعد قليل من الإنزال البحري قدّم فرحات عباس للحلفاء " بيان الشعب الجزائري " الممضي عليه بالإشتراك لمين دبّاغين بإسم حزب الشعب الجزائري. وحين الإعلان عن مساعدة عباس للحركة الوطنيّة، طلبنا منه ومن م.ك.ساطور القيام بمحاضرات شبّان القصبة.

إن تدخلاتهم كان لها نجاح كبير، وكلّ الناس إعتقدوا بأن حزب الشعب الجزائري كان ضمن طور إسترجاع حملته التسيسيّة. وفي الواقع فإنّ النشاط نظمه (الكرنا)، وأعضاؤه لازالوا معزولين من الحزب. إن حزب الشعب الجزائر إستعاد نوعا من النشاط بعد التوقيع على البيان ولكن ضمن الفوضى.

ولقد إستطاع فرحات عبّاس أن يجعل التوقيع على هذا البيان من طرف زملائه العرب، والقبائل المنتمين إلى المندوبيّات الماليّة، وذلك قبل أن يقدّمه إلى (بيروتون) ثمّ الجنرال (كاتروكس) وهما بالتوالي حاكمان عامان للجزائر. وهذا الأخير رفض الإطلاع على البيان، وأمر بإلقاء القبض على عباس، وسايح عبد القادر، اللذين سوف يسجنان بالجنوب الجزائري. وبعض المنتخبين من المندوبيات سحبوا حينئذ إمضاءاتهم، وإنفصلوا عن الحركة. وأمّا آخرون فقد ألقي القبض عليهم.

وقرر (الكرنا) مظاهرة التضامن مع المسجونين. وقد كنّا في فترة رمضان، وعيّنا تاريخ عملنا ليوم عيد الفطر، بعد الصلاة. وفكّرنا في كلّ الإحتمالات ماعدا في مشكل تعيين يوم العيد. وفي تلك السنوات 1940، و1950 يكفي أن تعيّن الإدارة يوما للإحتفال بالعيد ليقترح العلماء، والأوساط التقدميّة تاريخا آخر، وقد وجدنا أنفسنا يومين قبل المظاهرة في هذه الوضعية الغامضة. وفي اليوم (29) من رمضان كنّا ننتظر بعد في حالة عدم الإقرار الكامل. وعلى الساعة الثانية

صباحا، وصل الخبر : تعيّن العيد في الغد، 30 سبتمبر 1943. وحين هذه اللحظة، راح المناضلون يعلنون الموعد بمسجد الجامع الجديد لكلّ شعب القصبة ونواحيها. وكان المكلّف بإلقاء الخطاب هو عليّ فدّي، وكان عضو شبيبات المؤتمر الإسلامي. وقد إتصل به عسلة، ووعده بأن يقوم المناضلون بأمنه، وسوف ينقل على جناح السرعة إلى ضيعة دحمان حفيز.

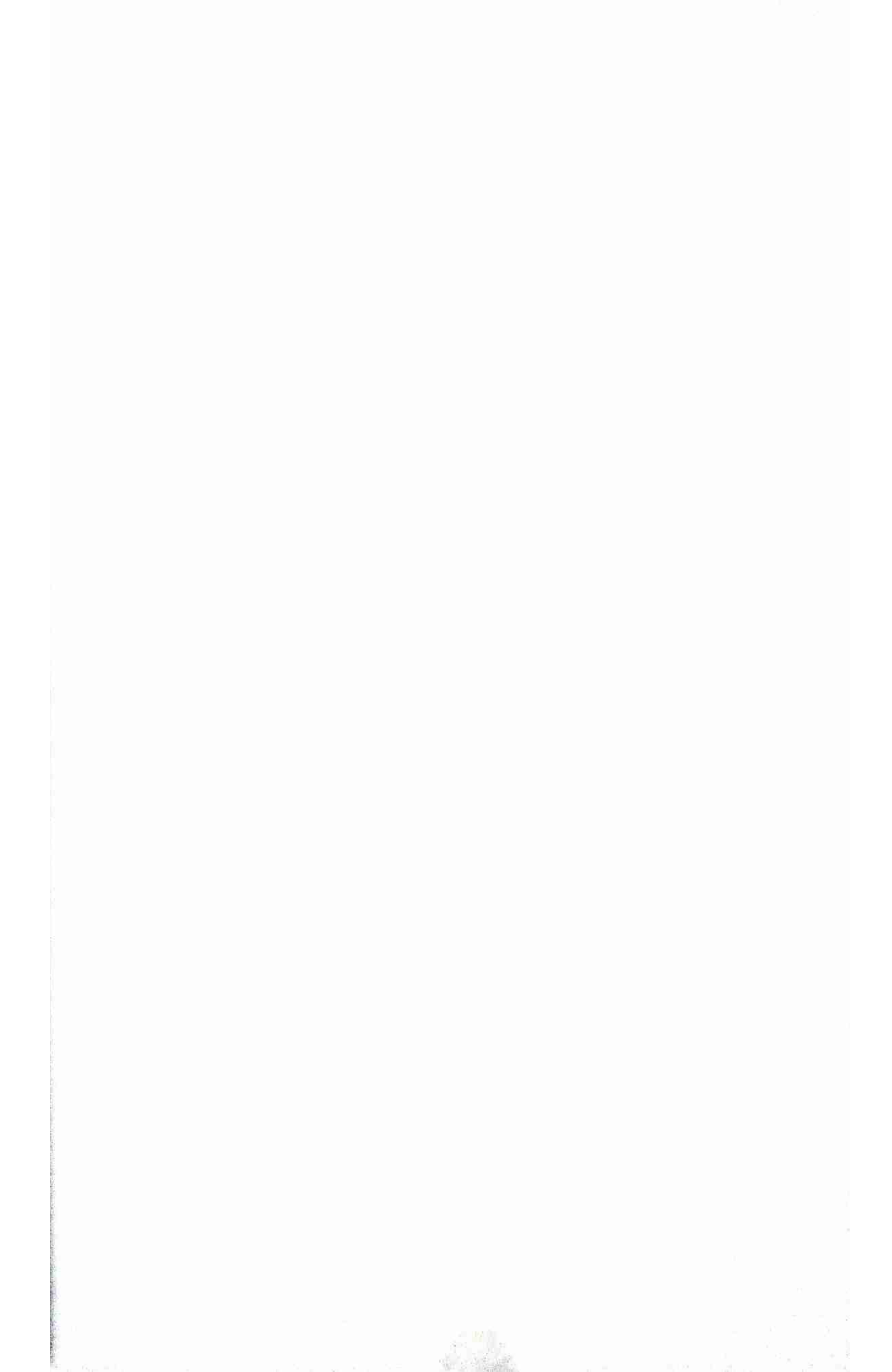
وصباح يوم العيد، تسارع مؤمنون كثيرون إلى المسجد، وحين أنهى الإمام خطبته، توجه عليّ فدّي منطلقا نحوه ليضع قيلة على رأسه ويطمئنّه وبصفته أديب باللغة العربيّة فإنه قام بخطاب متناصفا بين السياسة، والدين ثمّ غادر المسجد من باب محتجب عن الأنظار بعدما سلّم على الإمام. وكانت الشرطة تنتظر المصلّين عند مخرج المسجد، وضربتهم بالعصي ضربا مبرّحا. وقد جرح مناضلون عديدون ومنهم حاج بولنجاص عبد الرحمان الذي يقول لي، وهو بعباءته الملطّخة بالدم : " هاهي أول حجيّ " وألقي القبض على بعض آخرين كبن تومي عمر الذي كان طالبا شابّا.

وبعد المظاهرة إجتمع كلّ من عسلة، وطالب، وأنا بحديقة (مارنقو) لوضع حصيلة للوضعية.

وأثناء هذه السنة 1943، أخبرني عباس التركي، وهو تاجر بمدينة الجزائر، بأنّ شيخ طالب الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء يرغب في لقائنا. وأثناء تناول طعام نظمه عبد الرحمان بولنجاص — وكان وقت رمضان — إقترح الشيخ أن يترأس حزب الشعب الجزائري إلى غاية تسريح مصالي. والشئ الذي كان يجهله عباس التركي، وكذلك الشيخ هو كنّا معزولين دائما من حزب الشعب الجزائري.

وفيما بعد بقليل من الوقت، أخبرني طالب بأنّ مشروع جريدة هو على قيد الدراسة. ونحو شهر ديسمبر نادايي، فالجريدة قد تحقّقت أخيرا، وأطلعني على العدد الأول من العمل الجزائري. ولمّا تعجّبت من نجاح هذه العملية فإنه باح لي بالكيفية التي أنجزه بها الجريدة. وذلك في مقهى بشارع (مارنقو)، إنّه إتصل بعامل الطباعة في جريدة (ألجي – ريبوبليكن)، إسمه لامراوي الملقب (الأميرال طوقو) الذي أدلى عليه بنصائح. وكان لزاما عليه أن يجد إطارا مستطيلا من المعدن، وحروفا مصنّعة، ثم قطعة مطاط متشابهة الشكل، وأسطوانة تزن من (8 إلى 10 كلغ). ولم يجد صعوبة في إيجاد قطعة المعدن، المصنوعة من طرف صديقنا مستول الذي هو بطبعه حدّاد. وفيما يخصّ الحروف الإصطناعية تكلّف شبان مناضلون بسلبها خلسة من مطبعة (هانتز) بحي بلكور. وطالب كذلك أوصى بالمهمة براهيم غرّافة بتوفير هذه الحروف لدى أصدقائه بمطبعة " العربية ". وسي إبراهيم ككل أهل مزاب يلبس فقط قندورة (عباءة). وبرنوسا، فبعد كلّ زيارة لدى أصدقائه فإنّه يختلس ملأ الكفين من هذه الحروف العربيّة واللاتينيّة، التي يجعلها خلسة في غطاء الرأس (القبّ). وهكذا لم تجد الجريدة صعوبة في التجهيز. وبقي على الأقل إيجاد محرّرين، ومسؤول سياسيّ : فهذه المهمة الأخيرة أسندت إلى عسلة الذي يملك مستوى تعليمي أرقى عن مستوانا، وزيادة باللغتين، أما طالب فيتكلّف بالتوزيع، وحمزة بالمصلحة المالية. وفيما يخصّني إلتمست محامين من معارفي، قدور ساطور، ومحمّد غرسي من أجل تحرير المقالات الأولى، السيد غرسي، هو حاليا محام بمليانة. كان إبن مندوب ماليّ، والممضي على البيان، ولكن لم يتنكر لتوقيه. إنّ أوّل مقالة أساسيّة كانت من إمضاء ساطور وتحمل عنوان : " خيانة الكتّاب "، فكان لها صدى كبير بين الطبقة السياسيّة. وحين توزيع العدد الأول فكان ردّ الفعل جدّ مشجّع، كما فاق الطلب بصفة واسعة (3000) نسخة منجزة.

إنّ توزيع الجريدة في كل أنحاء القطر الجزائري قد نجح رغم المشاكل، فالتعاليق كانت تثني على الإنجاز إلاّ أنّها تنصّ على ضعف الإخراج، وهي تجهل الظروف التي طبعت فيها. وأثناء الحرب كان الورق لا يوزّع إلاّ على الجرائد الكبرى، وبكمية قليلة. ولقد تجاوزنا الحاجز حيث توجّهنا إلى أصحاب المطاعم مثل أوعمارة محمد رشيد، وسي محمد هنّي، وسي داكي، وزكريا الذين يموّنونا بالورق. وعند البداية كانت المطبعة بيد فوج مكوّن من إثنين و ثلاثة شبّان، في قبو بالقصبة ضمن شارع (أنفريفيل). إن الأثاث كان في أقل المحتويات : منضدة صغيرة أين أقيم الإطار، وعليها نقوم بتمريد أسطوانة (10 كلغ). إنّ توزيع النسخ نحو داخل البلاد كان مضمونا من طرف شبّان مناضلين الذين يسوقون الشاحنات الأنجليزية — الأمريكيّة، فالسائقون كانوا تحت إدارة مصطفى كاترنجي، وبن زيري محمّد المتوفي منذ قليل.



إعادة الدمج
إلى حزب الشعب الجزائري

وفي سنة 1944، تكوّن مجدّدا حزب الشعب الجزائري، وعلى رأسه لمين دبّاغين، والأعضاء الآخرون من هيئة الإدارة هم : أحمد مزغنة، وأحمد بودة، الحسين مقري، والشادلي مكّي، وخليل عمر، ومصطفاي شوقي. أمّا لحول فكان دائما تحت الإقامة المحروسة بعين الصفراء.

ونحو شهر أفريل 1944، وحسب شادل مكّي (المتوفي في جويلية 1988) فإنّ لحول من المفروض ذهب ليلتقي بمصالي في قرية قصر الشلالة تحت الإقامة المحروسة منذ تسريحه من سجن تازولت (لابيز) من أجل تقديم إقتراح له يخصّ إعادة إدماج مجدّد لمناضلي (الكارنا). وقد إطّلعه على الأعداد الثلاثة لجريدة (العمل الجزائري)، وأيضا كلمة لنشاطنا ضمن نوادي الشبّان. وأمام هذه الحجج كان إفتراضا قبول مصالي لإعادة دمجنا. وحسب بودة فإنّ المكتب السياسي هو الذي من المفترض قام بهذا المسعى لدى مصالي. وحين عودة الوفد إلى العاصمة قد تمّ إستدعاؤنا رسميّا إلى إجتماع المكتب السياسي أنا وطالب. وحسب الظاهر فإنّ حاج شرشالي وعسلة بقيا مشكوك فيهما بالنسبة لبعض أعضاء حزب الشعب الجزائري، فالأول نظرا لمخالطاته السياسيّة، والثاني نظرا لإنتسابه القديم بشبيبات المؤتمر الإسلامي. ولقد إتخذنا مسؤولية ضمان وفائهم، وهكذا تمّ قبولهما في الحزب.

وأثناء القسم الأكبر من السنة 1944، تخصّص نشاطنا في تأسيس خلايا جديدة من جهة، ومن جهة أخرى في ضمان صدور الجريدة. وفي هذا الإطار، تعرّض مناضل، بولنوار من أجل توسيع جريدة ممنوعة، إلى عقوبة ثلاث سنوات سجنا، وأمّا لحول، وبن عليّ بوكرت فقد ألقي القبض عليهما بسبب توقيع على مقالات في نفس الجريدة. وهناك حدث آخر خلق إضطرابا في نشاطنا. إنّ الشرطة الإقتصادية في إطار محاربة السوق السوداء، راحت تفتّش مخزن الدقيق (فارينة) أين يعمل سيد علي عبد الحميد كأمين الصندوق، والذي أخفى غلافا يحتوي على مقالات للجريدة بين أكياس الدقي. وأخبره عامل خبّاز بمجئ الشرطة فإستطاع سيد علي أن يفرّ غير أن الشرطة وجدت الوثائق، وعرفت كتابة لحول، وأمّا كتابة بوكرت فعرفها صديق له سابقا في الحزب الشيوعي، إسمه عمر أوزقان.

وقد حكمت عليهما المحكمة العسكرية بعشرين سنة سجنا فلحول كان أعزب وحينئذ ليس له أي عائلة يتكلّف بها، وأمّا بوكرت فقد خلّف إمرأة وعدّة أطفال. وإستوجب على الحزب إسعافهم. وكنت أسلّم كلّ شهر للزوجة إعانة ماديّة.

وأثناء تلك السنة، كان المكتب السيّاسي مكوّنا من لمين دبّاغين ككاتب عام، وطالب كمكلّف بالتنظيم، وعسلة كمكلّف بالصحافة، وعبدون كأمين مال.

وفي بارحة عيد المسيح سنة 1944 (نويل)، ألقي عليّ القبض بساحة الشهداء من طرف دركين بسبب عدم التجنيد، ولم تكن التهمة هي التي تحرجني. ولكن أعداد جريدة العمل الجزائري التي أحملها، والتي كان من المفروض أن أضعها في صناديق رسائل السفارات الأجنبيّة. وقد قاداني إلى مكتب التوظيف بشارع عيبود عبد الرحمان (جول فيري).

وعند الخروج من هناك أحد الدركين طلب من زميله أن يفتّشني. ولحسن الحظ أجاب زميله بأني موظف بمصلحة الماليّة فلم أكن خطيرا جدّا. ومررنا حتما من شارع الحرية للإلتحاق بالبرج XV. وهناك إغتنمت الفرصة لأطلب من حرّاسي الرخصة بقصد وضع الأشغال الإضافية التي أنجزتها لحساب الضرائب المباشرة، فسلّمت لصديقي نايت قاسي عبد القادر، مسيّر شركة نقل بين الجزائر والقليعة رزمة الأشغال، وأعداد جريدة العمل الجزائري. وأخيرا كنت مرتاح البال، وإلتحقت بهدوء خلية الثكنة أين كان العديد من الفارين من التجنيد. وحين نبإ إعتقالي إلتمس طالب، وعسلة موافقتي للشروع مع الطبيب عبد النور تمزالي في المساعي لتسريحي فرفضت بواسطة سيد عليّ بن برضوان، الممرّض بالثكنة، والذي له علاقة مع أعضاء الحزب. وفيما بعد بأيّام قلائل تمّ تعييني بمركز (C.O.A) في الحراش أين كانت منتصبة مصالح هيئة الخبازة والألبسة.

وأثناء شهر جانفي 1945 كنت دون نشاط تماما، وكنت أنتظر الساعة السادسة مساءا لأمتطي القطار، وألتحق بأهلي في القصبة. وفي 25 فيفري 1945، يعاقبنا تقرير من طرف الجنرال القائد لقسم مدينة الجزائر، بستين يوما في الزنزانة بسبب عدم الخضوع للتجنيد. وفي تلك الأمسيّة الحارس تردّد في رخصتي بالخروج، فوعدته بأن هذه المرة نكون الأخيرة، وسوى غدا على الساعة الأولى أكون في مكاني، فوافق دون صعوبة. وقضيت ليلة جدّ مضطربة، مع درجة حمى أكثر من الأربعين. ولم أفكّر كثيرا في المرض عوض في الخطر الذي يمنعني من إحترام الوعد. وإمتطيت في اليوم التالي القطار وأنا أرتعد، وكانت الثكنة بعيدة عن محطة الحراش، فوصلت بعد سير على الأقدام شاق، وأنا منهوك القوى تماما، فنمت على حزمة ألبسة. وإستيقظت بعد

(20) يوما بمستشفى (مايو) أين علن الأطباء بأني مصاب بالتيفوس. وفي نهاية مارس 1945، تحصّلت على شهر واحد خاصّ بالنقاهة، وفي 15 أفريل تمّ تسريحي من الحالة العسكريّة. إن وباء التيفوس الذي إجتاح كلّ القطر الجزائري لمدة ثلاث سنوات الأخيرة من الحرب قد أوقع ضحايا جّد عديدة وسط السكان الجزائريين.

الأمر المضاد بتاريخ 8 ماي 1945

في أفريل مسبّقا، تشرع الحرب على نهايتها، وكلّ تيّار كان يحضّر المستقبل، فمؤتمر أحباب البيان، والحرية (أ.ب.ح) يفتتح بنادي المولودية، وكان مكتب (أ.ب.ح) مكوّن من فرحات عباس كرئيس، والدكتور سعدان، والمحامين ساطور، وبومنجل كنائبين للرئيس، وحسين عسلة ككاتب عام (أ.ب.ح) مكوّنون بنسبة (80%) من مناضليّ القاعدة، المنتمين لحزب الشعب الجزائري، وأمّا هيئة الإدارة كانت مشكّلة تقريبا فقط من المثقّفين، ومنهم عسلة ومكي بإسم حزب الشعب.

إن وفيق التيارات المتنوعة لم يدم إلاّ شهرا واحدا ونصفه، وكان حزب الشعب الجزائر مشغولا من جهة أخرى بتنظيم مظاهرات أول ماي 1945، التي وقعت في مختلف المدن من البلاد، غير أن المظاهرة الأكبر كانت بالعاصمة أين عدّدنا قتيلين وقرابة العشرات من الجرحى، والعديد من الإعتقالات، والمناضلان اللذان لقيا حتفهما في هذا اليوم بالذات هما : حفّاف الغزالي، وعبد القادر زيار.

وفي ذات الأمسيّة كنت مفعما في الشغل بسبب طلبات شراء الأدويّة، وعمليات العلاج للجرحى، وأيضا بسبب طلبات المحاميّين الذين جنّدوا للدفاع عن المناضلين المعتقلين، الذين كثير منهم تركوا زوجات وأطفالا فكان لابدّ من إسعافهم. وكلّ أموال حزب الشعب قد أستعملت بالتمام، ويومين بعد الحوادث لم يبق قطّ في الصندوق إلاّ (1000) سنتيم.

إنّ مديرية حزب الشعب كانت مختلّة النظام تماما من جديد، وليس ذلك، بسبب كثرة الإعتقالات، ولكن بسبب الدخول في حالة السريّة لمناضلين كثيرين تبحث عنهم الشرطة. و لم نكن إلاّ إثنين بدون تعريض للبحث : حاج شرشالي وأنا بالذات. ولقد وجد لمين دبّاغين ملجأ في خمّ الدجاج مجهّز عند صديق، خليل عمر، ولجأ مناضلون آخرون إلى هنّي الملقّب " داكي " بشارع سوق الجمعة رقم 17 في القصبة.

وفي 5 ماي 1945 إنتقلت إلى هذا العنوان أين إلتقيت بطالب، وعمراني سعيد، وشوقي مصطفاي، وعسلة الذين أعتقلوا قبل أول ماي. وقد فرّوا من المستشفى أين حوّلوا. وتعرّفت في أسفل الشارع، على عدوّنا الشرطي عبّاس التركي، ولحسن الحظ إختفيت وراء عرصة فلم يرني إنني سلمت بأعجوبة.

وأثناء تلك الأيام الأولى من شهر ماي فإن الرأي الوطني والدّولي لم يكن له إهتمام إلا بإستسلام ألمانيا، الذي وقع يوم 7 ماي وأعلن عليه يوم 8 ماي. إن فرحات عبّاس الذي كان ينتظر الخبر بفارغ الصبر، أرسل برقية لكلّ فروع (أ.ب.ح) للتظاهر بمناسبة إنتصار الحلفاء و لم تسلّم هذه الفروع البرقية إلاّ بصفة متفاوتة، غير أن فرع سطيف المكوّن بنسبة (80%) من أنصار عبّاس كان الأنشط. وقد إنتقل عباس وسعدان يوم 8 ماي إلى مقرّ الحكومة العامّة ليشكر الحاكم العام على النصر، وعند دخولهما ألقي القبض عليهما.

ونحو الساعة الخامسة بعد الزوال أخبرني شرشالي بأنّ لمين دبّاغين يريد لقائي، وكنّا نجهل الحوادث وعلم لمين الخبر حديثا من خلال الراديو. وفي أخبار المساء علمنا بأنّ وزير الحرب أعطى الأمر للقوات الجويّة والبحريّة بقنبلة الشرق الجزائري، فهذه الوقائع تشير بديهيّا أن

مظاهرات يوم 8 ماي لم تكن وليدة قرار حزب الشعب الجزائري. وأمام فسحة الإضطهاد، وأمام الحركة الثوريّة التي تمتدّ فإن المديرية من حقّها إتخاذ موقف، فإجتمعت في 12 ماي 1945، وقرّرت إنتفاضة بمنطقة القبائل، والجنوب الجزائري، والمدية وبوغاري لتخفيف معركة على شرق البلاد. وعيّنت الإنتفاضة يوم 22 ماي على الساعة (12) ليلا.

وفي نفس الفترة سمح لنا الحدث لإمداد الصندوق بالمال، الذي كان فارغا، وبعد أن شارك تمّام عبد المالك في مظاهرة أول ماي، إلتحق بالمغرب الأقصى يبحث عن أبيه الذي ذهب منذ أكثر من (15) سنوات، فإستطاع أن يلتقي به بفاس. إن الأب الذي كانت له علاقة مع حزب " الإستقلال " نجح في إستقبال إبنه من طرف مديرية هذا الحزب. وقد أستقبل تمام كممثل رسميّ عن حزب الشعب الجزائري كما أكل الخبز والتمر من الأخوة. وبعدما دار الحديث حول المشاكل التي تتلقّاها الحركة الوطنيّة الجزائريّة فإنّ حزب الإستقلال سلّم له هدية بمبلغ (500.000) فرنكا فرنسيّا. وبالمقابل طلب المغربيّون من تمّام آلات سحب لصنع المنشورات الإدعائية. ولم يكن الأمر بالصعب نسبة إلينا حيث هذا الأثاث من الممكن إرساله عن طريق القطار بفضل مناضلين يعملون بالحظ مدينة الجزائر — دار البيضاء المغربيّة — وحين عودته فإن تمام زارني في المكتب، وفي نفس الأمسيّة إطّلعت المديرية على وصول الدفعة من المال الجديد حيث كنا في أشد الحاجة إليه لأن الوضعية صارت خطيرة.

وكانت المعارك دائما حامية الوطيس بالقطاع القسنطيني، فالصحافة التقريظيّة تتغنّى بالشكر إزاء الجيش الفرنسي. وكنّا ننتظر يوم 22 ماي بالحيرة. ومن خلال جريدتنا العمل الجزائري نحاول إخبار

الشعب عن الأحداث المأسويّة.وفي الليلة ما بين 16 و17 ماي 1945، كلّفت بتسليم نسخ المقالات للعدد التالي، إلى النائب، لمراوي الملقب " أميرال طوقو ". وكنت لا أعرف هذا المناضل ولكن لم أتذكّر المناضل الذي طلب منّي الذهاب هناك على كلّ حال إلى الموعد الذي رتّب على الساعة التاسعة والنصف ليلا في مقهى الدائرة الثانية. وفي تلك الساعة لازال النعار لأن منذ الحرب فإن التوقيت أجّل بنسبة ساعتين عن الشمس، وذلك لأسباب إستراتيجية. وأخذت مكاني بالمقهى في إنتظار محاوري.

وعلى الساعة التاسعة والنصف بالضبط، رأيت مناضلا شيوعيّا يتوجه نحوي، وكنت أعرفه جيّدا حيث كان معلّقا بالبيع الصوتي لجرائد الحزب الشيوعي. وتعجبت لمّا قدّم نفسه : سعيد لجالي، مبعوث طالب، والذي خلف أمراوي لصنع جريدة العمل الجزائري. وتكلّمنا وقتا، وشاركني في تخوفه، إنه يخشى عدم المقاومة في إستنطاف إذا وقع إعتقال، فطمأنته ونصحته بأن يغذّي خشياته. وإلتحق في حي (فنتين فريس) بحانون أين كانت المطبعة موضوعة، فهذا المحلّ التجاري يملكه صديق سيدي علي عبد الحميد، وكان يبيع كل أصناف السلع وحتى المشروبات الكحولية، وذلك حتى لا يلفت إنتباه الشرطة. وفيما يخصّني إلتحقت بمترلي ونمت وأنا أفكر في مخاويف الشباب المناضل، وأيضا في المنظم العجيب، طالب الذي قام بالتوظيف داخل الحزب الشيوعي نفسه. وقبل نصف الليل بقليل، وبعد إتمام الجريدة ذهب سيد عليّ، وسعيد، أحدهما نحو مخبئه، والآخر نحو مترله، وكان لابدّ من السرعة في هذا الفعل، لأنّ منع التجوّل عيّن بنصف الليل بالضبط بسبب أحداث قسنطينة. وقرب ملعب (منقاصون) (الكائن قريبا من تكنة عليّ خوجة) فاجأهما حسّ محرّك، وكان لدوريّة الحراس

المتنقّلين. ولمّا لا يعرف المناضلان الحيّ فإنهما سلكا طريقا دون منفذ، فإلتحق بهما سريعا العساكر، فسيد عليّ تمكّن من إلقاء بنفسه وراء تلعة، ولكن سعيد الذي أخذ مسدسه، تعرّض لقتل في مكانه.

ونحو الساعة الرابعة صباحا جاء خيّاط، عبد الرحمان يسلّم لي رواية الحادث : سيد عليّ كان سالما معافى ولكن سعيد ألقي عليه القبض. وإلتحقت بمكتبي في الصباح وأنا أتذكر دائما تخاوف الشاب المناضل، وفي نفس المساء ككلّ يوم ألتقي بحاج شرشالي الذي أخبرني بوفاة سعيد.

وكان أول ردّ فعل لي هو أتوفة بما يلي : في بعض الأحيان فإن مصيبة بعض الناس تسعى في سعادة الآخرين.

وفي الغد كلّ الجرائد تنقل الحدث، وهي تتّهم الحزب الشيوعي بتواذئه مع الوطنيين. وجرى بمقبرة القطّار الدفن، وكان (أوزقان) يزعق بحيث يندّد بحجّة هذه المؤامرة الخاصّة بالإدارة مع الوطنيين ضد الحزب الشيوعي.

ولم نكن إلا قليلين من مناضلي حزب الشعب الجزائري لنحضر الجنازة لأنّ الأقوال التي تفوّهت بها الوسائل الإعلاميّة فيما يخصّ الشاب المتوفي كانت قليلة الإطراء. إنّ سعيد حمل معه سرّه في القبر، ولكن نستطيع اليوم أن نقيم كلّ الضوء على هؤلاء الشهداء أي شهداء الثورة الجزائرية.

وعلى مدى أربعة أيّام من الإنتفاضة التي تمّ مشروعها فإنّنا لا نزلنا نحضّر المخابئ والظروف الماديّة الخاصّة بالسرية.

وفي 21 ماي صباحا فإنّ الجرائد تبسط عنوانا كبرى بحروف غليطة ما يلي : " المتمرّدون يطلبون الأمان ". وتشير الصور إلى جزائريّين يضعون قبله على أرجل الضبّاط الفرنسيّين وعلى أيديهم. وإنتهت

إنتفاضة القطاع القسنطيني وسط حمام من الدماء. ولكن كانت السرعة التي بها أرتكبت المجازر، الباعث على طعن الموقف الذي صادق عليه حزب الشعب الجزائري.

هل كان واجبا ترك الأحداث تواصل مسارها أم إعطاء أمر مضاد والإحتفاظ بقوانا ؟ - إن مشروع بعث الإنتفاضة في الجهات الأخرى من البلاد لم يكن الهدف منه إلاّ التخفيف على القطاع القسنطيني، فالجيوش الفرنسيّة كانت حاليا مطلوقة الأيادي بالشرق، والإضطهاد بالجهات الأخرى سوف لا يصير إلاّ أكثر شراسة.

إن هذا الإحراج عذّ بني طول النهار، وبعد تأمل ناضج قررت الحديث مع حاج شرشالي، وإقناعه بالتنكر للقرار على الساعة السادسة والنصف بعد العصر بنادي المولودية. إنّنا لا نستطيع الإتصال بأعضاء المكتب السياسي الآخرين نظرا للوقت الموزّع، وقرّرنا إتخاذ مسؤولياتنا بإعطاء الأمر المضاد للإنتفاضة. وقد أرسل أمحمد بن مهل، وهو طالب شاب من مدرسة الثعالبية (معهد ثانوي عربي — فرنسي لتكوين الإطارات للعدل الإسلامي و(تدريس اللغة العربية، والترجمة)، إلى الجنوب الجزائري أين رضي كلّ المناضلين بالقرار. و لم يكن الأمر كذلك بمنطقة القبائل عندما إتّصل بها سيد عليّ حليت. ورفض مسؤول دلس، زروالي إثبات القرار، وبإتفاق مع مازوزي (وزير العمل تحت بومدين) قرّر الإلتحاق بمعاقل الجبال. وحسب محضر المبعوث الخاص للمديريّة فإنّ المناضلين كانوا كثيرين ومستعدّين للإنتفاضة، غير أنّهم لا يمتلكون إلاّ محارف، ومعاول، وعصيّا، وبعض الأسلحة النارية القليلة.

وإلتحق زروالي ومازوزي بالجبال في ناحية تقزيرت، ودلس، وأبو (سيدي داود) وريبفال (بغلية)، وفي الخريف المقبل قرّرا معاقبة كلّ

جزائريّ سوف يتقدّم للإنتخابات البلدية. وهو الشئ الذي قاما به فقتل قرابة (15) مترشحين منهم قائدا أو ممثلو الإدارة. وسلم من ذلك باش آغا آيت عليّ لوحده، وندّد بهم والمناضلان الإثنان قد ألقي عليهما القبض قليلا فيما بعد غير أنهما كانت هيئتهما أثناء المحاكمة هيئة الكرامة. وقد أجاب مازوري رئيس المحكمة الذي طلب منهما هل عندهما شئ يضيفانه قال مازوزي : " ندمي الوحيد هو أن آيت عليّ لم يقتل". وحكم عليهما بالأعمال الشاقّة طول العمر، فمازوزي قضى كلّ عقوبته بالجزائر. وقد إلتقيت به سنة 1958 بسجن الأصنام (شلف). وأمّا زروالي قضى إعتقاله في السجون الفرنسية (أي بفرنسا).

وبعد حلقة 8 ماي 1945 المأسويّة، أعلن على قانون عفو عامّ فساد حينئذ هدوء خيّاليّ مجدّدا.

وإعتنى حزب الشعب الجزائري بتجديد تنظيم الحركة الوطنيّة آخذا بعين الإعتبار الحوادث الأخيرة وجعلت جريدة العمل الجزائرية جعلت حدّا لصدورها حين سمحت الإدارة بوجود جريدة أسبوعيّة وطنيّة، "الجزائر الحرّة".

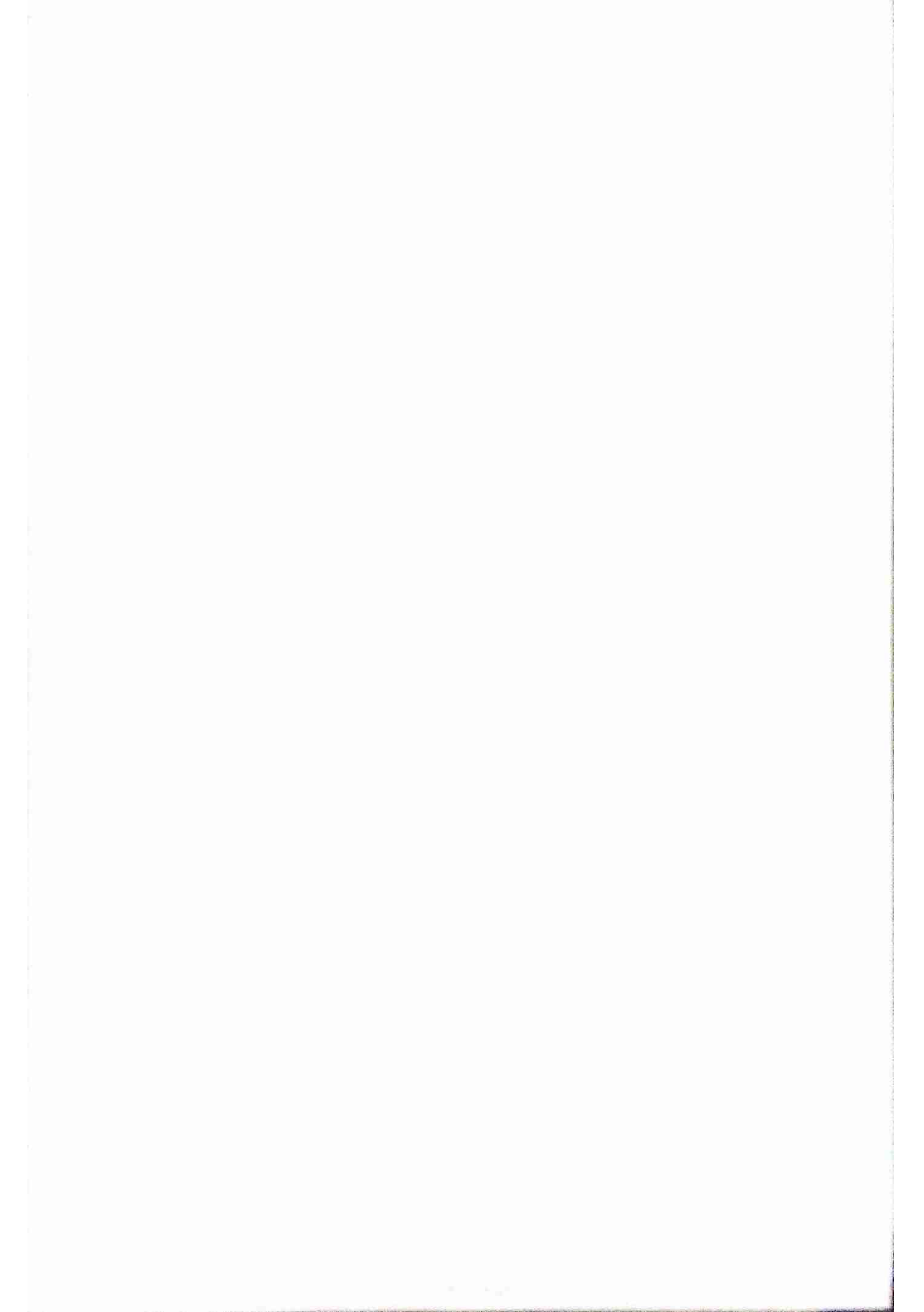
وفي بداية سنة 1946 (2 جوان) جرى إنتخاب النوّاب بالبرلمان للمجلس التأسيسيّ الثاني، ولم يشارك حزب الشعب الجزائر ي فيه.

وقد شاركت الأحزاب الأخرى في التصويت، وعلى (15) مقاعد مخصّصة، فإنّ الإتحاد الديقمراطي للبيان الجزائري تحصّل على (11) مقاعد، والحزب الشيوعيّ على (3)، والإدارة على (1). وبالعكس قدّم حزب الشعب مترشّحين لإنتخابات البلديّة لسنة 1947 ونجح في العملية حيث تمّ إنتخاب أعضائه بنسبة (80%) في عدّة بلدات

منها مدينة الجزائر، ووهران، وقسنطينة، وتلمسان، وعنابة، والبليدة، وشرشال، ودلس غير أنّه رسب بسطيف. وكثيرا من الجزائريّين، وعلى وجه الخصوص الذين تقلّ أعمارهم عن (40) سنة، تساءلوا لماذا بعد إنتصارات حزب الشعب في إنتخابات البلدية بسنبة (80%) في المدن الجزائرية الكبرى، لم يكن هناك أبدا رئيس بلدية جزائرية ؟ ولذلك يستوجب الجواب بأن في القطر الجزائري يوجد قسمان : القسم الأول مكوّن من الفرنسيّين المسيحيّين أصلا، ومن بعض المسلمين الذين يتمتّعون بقانون دغول لسنة 1944. والقسم القاني متكوّن حصرا من المسلمين. وفي كل بلدة كبيرة أم صغيرة، ولو كان المسلمون أغلبية بسنبة (95%)، فإنّ منتخبيهم لا يمثّلون إلاّ (2/5) من جملة أعضاء المجلس، وأمّا في القسم الأول فإن منتخبي الأوروبيّين يمثّلون (3/5) من جملة المنتخبين. وحين إنتخاب رئيس البلدية فالاوروبيّون كانوا دوما الأغلبية. وهناك وجد إستثناء للقاعدة : مدينة تبسة، ففي هذه المدينة كان هناك محطّة قطار كبيرة، وعليه كان كثيرا من عمال السكّك الحديديّة من أصل أوروبيّ، وهم تقليديا أعضاء الحزب الشيوعي الجزائري. وفي إنتخابات البلدية لسنة 1951، قد فازت قائمة حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية في القسم الثاني، كما فازت قائمة الحزب الشيوعي في القسم الأول. ويم إنتخاب رئيس البلدية فإنّ منتخبي القسم الأوّل، أي ممثلي الأوروبيّين الأقلية في المدينة، ولكن الأغلبيّة في المجلس البلدي، إنتخبوا على مرشّح حركة الإنتصار. وهكذا كان، السيد لعمري الرئيس الجزائري المنتخب لمدينة تبسة في القطر الجزائري.

وبعد الحوادث بالقطاع القسنطيني، بحثت الشرطة على شاب مناضل، محمد بلويزداد الذي عمل سابقا بمقرّ الحكومة العامّة، وأرسله

الحزب إلى شرق البلاد. وهو صغير السن، جدّ ذكي، وقد توصّل إلى إعادة تنظيم الناحية الشرقية بوسائل تافهة، تلك الناحية المرضوضة بسبب موت مناضلين عديدين، وإعتقالات ضخمة. إنّه ينام في الحمامات العموميّة، ويكتفي بزاد المطاعم الرخيصة وذلك رغم المرض بصفة مسبّقة، وقد أكله مرض الصدر. وساح في كل أنحاء شرق البلاد ولا يعرف كللا، الشيء الذي أسرع بدون شك في أسباب موته قبل الوقت في 18 جانفي 1952. وسوف أتذكّر دوما المدح الذي يقوم به محمد طالب إزاء هذا المناضل الشاب.



إنتخابات، ومجلس، ومؤتمر 1947

وفي أوت 1946، قرّرت الحكومة الفرنسيّة إطلاق سراح مصالي الذي كان معتقلا بمدينة (برازفيل) منذ 1945.

وحيّت ساكنة مدينة الجزائر بحماس وصول رئيس حزب الشعب الجزائري ورافقته من دار البيضاء إلى بوزريعة، مقرّ إقامته الجديدة التي عيّنت له الحكومة.

وقبل إلتحاقه بمدينة الجزائر، ذهب مصالي إلى باريس أين إستقبل وفد الحزب الإشتراكي، وممثل الرابطة العربية. وبعد أسبوع من وصوله إلى مدينة الجزائر، أستدعي إجتماع المكتب السياسي إلى محلّ سكناه. ولمّا الإستفتاء على الدستور قد رفضه الشعب الفرنسي نتج عن ذلك تنظيم إنتخابات جديدة من أجل مجلس تأسيسي ثالث. وهذه المشكلة كانت من المفروض موضوع مناقشة هذا الإجتماع من جملة مواضيع أخرى.

وحضر الإجتماع زيادة على مصالي، الأعضاء الآتيين : دباغين، ولحول، وعسلة، وبودة، وعبدون، وطالب، وبوقدوم، ومعيزة، ومقري، وخليل عمر، وعمراني، وممشاوي، ومزغنة، وخيذر، ومصطفاي، وشرشالي، وفيلالي عبد الله. وفتحت الحصة على الساعة الثامنة ليلا، وأنتظمت المناقشة حول مسألتين أساسيتين : هل كان من الواجب التقديم إلى إنتخابات المجلس التأسيسي الثالث، وعند الجواب

الإيجابي، تحت أي عنوان. وكمدخل للمناقشة لجدول العمل اليومي، قام أولا مصالي بعرض حال خاص بالمحادثات التي جرت بينه وعزام باشا، والشخصيات التابعة لليسار الفرنسي، وعلى وجه الخصوص الإشتراكيين. ولقد نصح عزام باشا بالمشاركة في كلّ الإنتخابات لأنّ الإمتناع هو سلبي، وبعاقب الوطنيّين الذين أظهروا إلى حدّ الآن مهارتهم في القيام بالمعركة. وبعد هذا التقرير الشفوي، أعطيت الكلمة للمشاركين لمناقشة مبدإ المشاركة في الإنتخابات. وقد وافق كلّهم إلاّ لحول ودبّاغين اللذان أعلنا رفضهما، وإنتهت الجمعية نحو الساعة الخامسة صباحا على تصديق مبدإ المشاركة في الإنتخابات. المشاركة ولكن تحت أي عنوان ؟

ولقد تمّ حلّ حزب الشعب الجزائري في سبتمبر 1939، وإعداد شعار جديد أصبح ضروريّا لتجنب الإستبعاد، فهذه المشاكل قد نوقشت في المساء ذاته في إجتماع جديد.

وإستوجب عليّ أن أغادر مكان الإجتماع على الساعة الخامسة صباحا لأتناول فطور الصباح الصغير، وأعود إلى إدارتي دون أن نغمض العين.

وعلى الساعة الثامنة مساء أفتتحت الحصّة الثانية، في حوش صغير تابع لفيلا. والمناضلون الذين يتكلّفون بحراسة الأماكن، يحضرون لنا إناء قهوة. وكنّا في حاجة ماسة إليها بعد (48) ساعة بدون نوم.

وأثناء هذه الحصّة الثانية، تمّ الإجماع حول نقطتين :

- مجلس تأسيسي جزائري.
- عدم الإقتحام في السياسة الفرنسيّة.

وبقيت مسألة أخيرة للتسوية، وهي مسألة شعار الحزب الجديد، ونحو الساعة الخامسة صباحا، وبعد إقتراحات متنوّعة رفضها المجلس، إقترح المؤسف له المحامي معيزة براهيم الذي وافاه الأجل أياما فيما بعد أثناء رجوعه من سطيف، شعارا سهلا لحفظة : الحركة لإنتصار الحريات الديمقراطية (ح.إ.ح.د.M.T.L.D)، فهذا الشعار لم يكن أحسن من غيره، ولكن كان له ميزة بأنّه تمّ إقتراحه في الصبيحة، لمّا أغلب الأعضاء الحاضرين كانوا مرهقين. وقد عيّن للتصويت المترشحون : بودة، وبن حبيلس عبد الله، وثالث بباتنة، لمين دبّاغين، وبوقدوم مسعود، ودردور جمال في قسنطينة، ومزغنة أحمد، وخيذر محمّد، وطالب محمّد، وحفيز دحمان، وخليل عمر بالجزائر العاصمة. وبورهران سوف يكون : مصالي، ولحول، ومناضلون آخرون وهرانيّون. ولم يصادق على هذه القائمة بالإجماع إلاّ بعد محادثات طويلة. وأمانة حرّرت عرض الحال لكلّ القرارات المتّخذة.

ووقعت الإنتخابات في 6 نوفمبر 1946، وقد ألغيت قائمة القطاع الوهراني، أمّا مترشحو قسنطينة فقد فازوا كلهم بالإنتخاب. وبالجزائر العاصمة، مزغنة وخذر لوحدهما تحصلا على مقعد.

وبباتنة فإن الإختلاس الإنتخابي لم يسمح لمترشحي (ح.إ.ح.د) أن يبرزوا سيطرتهم.

وفي منتصف السنة 1946 عيّنت مديرية حزب الشعب الجزائري لمين دبّاغين، وعبد الله فيلالي ليذهبا سريّا إلى المغرب الأقصى، وتونس، فكان لزاما عليهما أن يناقشا مع حزب الإستقلال، وحزب الدستور الجديد موقفا مشتركا للبلدان الثلاث، خاصّا بعدم كلّ مفاوضة ثنائية، فالمبدأ الذي يقترح حزب الشعب الجزائري يتمثّل في المطالبة بمفاوضة جماعية للبلدان المغاربية الثلاثة مع فرنسا.

ولقد إجتاز المبعوثان الحدود المغربيّة والتونسية بإرتياح بفضل المؤسف له حمادة، عامل بعربات – النوم التابعة لشركة السكك الحديدية الجزائرية. وقد وقع الأطراف التونسيّة والمغربية على الإتفاق، وكلّفتني هيئة الإدارة للحزب بالإحتفاظ على الوثيقة. وإحتفظت به بعنابة إلى غاية 1956، التاريخ الذي قررت فيه بتحطيم الوثيقة خوفا من أن يسقط بين أيدي الشرطة.

وفي نهاية السنة (10/11/1946) توفي مناضل كبير : غرافة براهيم، وقد وافاه الأجل إثر جرح طفيف، الكزّاز، فهذا المناضل البسيط، ينتسب إلى ناحية الميزاب، كان مسلّحا بشجاعة عظيمة، ومتمتّعا بعقيدة سياسية لا تتزع. وكان دائما يتطوّع للمهام الخطيرة. وذات أمسية من شهر ديسمبر 1938، نحو منتصف الليل، كنّا راجعين من مهمّة إلصاق المناشير التي تحمل موضوع محاربة الفاشستية الإيطالية المطالبة حينئذ بالقطر التونسي. وكنّا نصعد الدرج الواضعة وراء كتدرالية مدينة الجزائر (جامع كتشاوة)، وفي وسطها يوجد مرحاضان. وبعد أن أفرغ مثانته، تقدّم غرافة نحونا وهو يمزح قائلا : " إنّني لا أدرك بأني رجل إلا في تلك الآونة بالذات " فإنّه قد ضحى حتى بحياته الخاصة في سبيل الوطنية.

وفي تلك الفترة الزمنيّة المضطربة جدّا، فإن إنعقاد مؤتمر صار من الضروري، وعيّن التاريخ بيومي 15 و16 فيفري 1947. ويومان قبل المؤتمر ترأس مصالي إجتماعا سريّا مع بعض مسؤولي الولاية بضيعة في بوزريعة. وهناك رأيت لأول مرة آيت أحمد الذي كان أصغر أكثر بكثير منّي، كما كان مفعما بالشجاعة. ولقد سمعت بالمديرية عن هذا الشاب من منطقة القبائل، والذي يصعد في سلسلة المسؤوليات، ولكن لم ألتق به أبدا بعد.

وحين أنهى الرئيس مقدمته طلب آيت أحمد الكلمة : لماذا تكلموننا حينئذ عن العرب ونحن لسنا كذلك فإنّنا بربر. ولم يقم مصالي برد الفعل لملاحظة آيت أحمد ليتحاشى إضطراب جوّ هذا المؤتمر المسبق. وأنا بالذات قد وجدتها غير ملائمة، حيث لا تستطيع إلاّ إثارة الفوارق ضمن الشعب.

والمسألتان اللتان نوقشت وسط هذا الإجتماع كانتا تتعلّقان بتنظيم المؤتمر، وبشروط تعيين المؤتمرين.

وفي 15 فيفري 1947، أفتتح المؤتمر في محلات مصنع الليموناضة التي يملكها سي حمود ببلكور (سيد أمحمد). وكان من الأعضاء الناشطين في الحركة الوطنية نفسها : حمود بوعلام، وأهل حفير، ولو لم يكونوا مسجّلين في الحزب. وكانت شاحنات شركة حمود في متناول الكرنا سابقا أو حزب الشعب الجزائري، من أجل نقل المناشير السياسية، والجرائد أو كل عمل سري. وهؤلاء الشخصيات كانوا أيضا أصحاب تبرعات كرجال أسخياء. إن مصنع الليموناضة وضواحيه كانا محروسين من طرف مناضلين كثيرين. وبدأ المؤتمر ببعض المسائل الطفيفة، ثم بنقطة هامة للغاية تعرّضت للمناقشة، الأمر المضاد لإنتفاضة منطقة القبائل، فمندوبو هذه الناحية إشتدّ إنتباهاهم على هذه المسألة وسهل على شوقي مصطفاي أن يبرز نظرية المدينة وقد كان ممتازا في ذلك اليوم بالذات. إن النداء الذي قام بتوزيعه أصحاب البيان والحرية كان يرمي إلى التظاهرة يوم 8 ماي 1945 في الهدوء. وبعد الإنتفاضة القسنطينيّة فالمديرية قرّرت تنظيم نوعاٍ ن جبهة ثانية بمنطقة القبائل، والجنوب الجزائري للتخفيف على سكان الجهة الشرقيّة التي لحق الضرر بشدة من جراء القمع، وهي تجهل الوسائل، ولا القوى المستعملة في تلك الناحية. وعليه، فالإنتفاضة بالناحية الشرقية قد تحطّمت قبل التاريخ المعيّن.

هل كان من الضروري إبقاء القرار مع معرفة مصير هذه الجهات كمصير المماثل للشرق أم كان من الواجب إبقاف الحركة ؟ وأمام هذا الإحراج فإن هيئة الإدارة إختارت الحلّ الثاني للحفاظ على القوات الوطنيّة.

والنقطة الثانية المسجل في جدول العمل كانت تعيين أعضاء اللجنة المركزيّة، فالجمعية قد فرضت بعض الشروط : وسوف لا يتم التعيين إلاّ بالنسبة للمناضلين الذين يكونون أحرارا من كل إرتباط، ويكونوا مستعدّين في كل وقت. ولم يكن الأمر يعنيني حيث كنت موظّفا لدى المصالح المالية. وزيادة كنت مرهقا جدّا، وكنت أتمنى أخذ وقتا من الراحة. ولم يعيّن : حاج شرشالي، وعسلة حسين، وهم مناضلان كان بيني وبينهما أكثر التجانس. وفيما يخصّ طالب فإنه آكله مرض إلتهاب الكبد، الذي ألمه منذ 1937 فلم يتقدّم.

وعند عودتي إلى القاعدة، قد كلّفت عدّة مرات بمهام متنوّعة من طرف الأمانة، وقد نوقشت مسألة المنظمة الخاصة خارج المؤتمر. ومن أجل أسباب أمنية محقّقة فالمشكل طرح على لجنة خصوصية مكوّنة من مصالي، ولحول، وسيد-عليّ، وآيت أحمد، وبن بلة، وبلحاج الذي أكتشف فيما بعد كعامل الإدارة تحت إسم كويوس.

إنّ الأحداث بمدغشقر التي وقعت سنة 1947، خلّفت أكثر من (30.000) ميتا ضمن الملغاشيين. ومن جملة المناضلين المعتقلين يوجد ثلاثة نوائب المجلس، والذين إمتيازهم البرلماني لا يمكن رفعه إلاّ بإنتخاب بالمجلس الوطني. وجرت المناقشة سنة 1948، فالمنتخبون الجزائريون الأوفياء لإلتزامهم بعدم التدخل إلاّ في مسائل جزائرية فقد قرروا الإمتناع. وبهذا الفعل فإن المنتخبون المالغشيون زال إمتيازهم البرلماني بنسبة صوتين للأغلبية قصد تسليمهم للعدالة وحسب رأيي فكان هنا عدم الإلتزام بالتضامن بين المستعمرين.

وبالمجلس الوطني الفرنسي وقعت مناقشة المشكلة الجزائريّة نحو نهاية سنة 1947 فالنّواب التابعون لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية قد دافعوا ببسالة القضية الوطنيّة غير أنهم لم يستطيعوا إقناع الكتلة المكوّنة من اليسار، واليمين الموحّدة ضد مشروع '' المجلس التأسيسي الجزائري ''، فالمجلس الفرنسي صادق على القانون العام الخاصّ بالجزائر، وعلى مبدإ مجلس جزائري، مخوّل بسلطات موسّعة، على وجه الخصوص على المستوى المالي. ويتركّب من (120) عضوا بعدد متساويين الطرفين : المسلم والأوروبي أي (60) عضوا لكلّ طرف.

ولقد أنتخب المجلس الأول (بالجزائر) في 4 أفريل 1948 تحت هيئة الولاية الحاكمة لنيجلن، وهو الحاكم العام للجزائر. إن هذه الإنتخابات من حقها أن ترتسم بحجرة سوداء. وحين البارحة قد إنفجرت حوادث بعد إعتقال بعض المترشحين والمناضلين المكلّفين بمراقبة مكاتب الإقتراع.. وإذا، في المكتب الذي أترأسه، جرى التصويت عاديّا، فلم يكن الأمر كذلك داخل البلاد أين التدليس الإنتخابي بلغ قمما متفاوتة : ملأ صناديق الإقتراع، إعتقال أعضاء المكتب، إعتقال الناخبين، وأعضاء الحزب. وبالبليدة صارت الإنتخابات مهزلة حقيقية. وفي الدورة الأول، طواهري مرشّح حركة إنتصار حصل على (14.000) صوتا مقابل (30.000) مسجّلا، وحصل كلّ من الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (4800)، والحزب الشيوعي (3200)، مرشّح الإدارة (800).

وفي الدور الثاني، إنسحب مرشحو الإتحاد الديمقراطي، والحزب الشيوعي لصالح مرشح حركة إنتصار الحريات الديمقراطية. ويوم التصويت، إحتل الجيش كل المدينة، وضواحيها فكانت مكاتب الإقتراع فارغة. وفي المساء أعلن إنتصار مرشح الإدارة (الفرنسية)

بعدد (30.000) صوتا ضد لا شئ لمرشح حركة إنتصار الحريات. وفي الغد يكتب الحاكم نجلان في جريدة " ليكو دالجي " : "إنّكم ترون بأن إبراز القوة يبعث الجزائريين على أن يكونوا فرنسيّين، وينتخبون فرنسييّن ". فالسخريّة لا تقتل قط بالجزائر. وأول رئيس من الطائفة الثانية لهذا المجلس كان عبد القاد سايح، والأخير كان سنة 1954، عبد الرحمان فارس.وفي 1948، تألمت لضياع صديقي وزميلي في الكفاح عسلة حسين. وقد وظّفته في فرع كرة السلة التابع للمولودية ثمّ الكارنا، قبل دخوله إلى حزب الشعب الجزائري. وكان يتألّم منذ وقت بعيد من مرض قلبي. وأحيانا، وأثناء الإجتماعات بالقصبة كان لزاما عليه أن يستريح مدّة طويلة لإسترجاع أنفاسه. وكان يطلب منّي أن أضع يدي على صدره الذي يرتفع تحت حدّة الخفقان. ومنذ مدة كانت الشرطة تبحه عليه، وعلى سيد — عليّ، وخليل عمر. وهو يتحاشى السير في الشوارع الكبرى. وذات مساءا لمّا كان برفقة مناضلين، أتت الشرطة تقرع على بابه. كان خليل قليل السمع فلم يدرك الخطر إلاّ عندما رأى رفيقه يقفزان من النافذة الواقعة في الطابق الثاني من العمارة. وعسلة سحب نفسه إلى غاية مترل تمام بالسيدة الإفريقية، وأمّا خليل وعبد الحميد إلتجآ عند أصدقاء. وفي الواقع كانت الشرطة تريد تسليم إستدعاء فأخطأت في الطابق ولكن الغلطة صارت مأسويّة حيث توفي عسلة بعض الشهور فيما بعد. ومنذ 1940، السنة التي عرفته فيها كانت صحته دوما هشّة دون إن تمنعه في نشاطه الوطني. وفي جانفي 1948 قام كلّ من الحزب، والساكنة بجنازة له في مستوى نضاله. وقد أغلقت الحوانيت أبوابها من منعرج (روفيقو) أين يسكن إلى مثواه الأخير بمقبرة القطار.

وإنطلاقا من سنة 1950 بادر حزب الشعب الجزائري في حركة عميقة خاصّة بإعادة التنظيم، والفرز عبر البلديات الكبرى في البلاد،

ولكن في سنة 1951، سلسلة من الأحداث التي أثارها الإدارة، أفسد هذه المرحلة الجديدة من تطوّر الحزب. وقد أستحضر مصالي مجدّدا بالإقامة الجبريّة في مدينة (نيورت) بفرنسا، بسبب أنّه أراد تنظيم إجتماع جماهيري بشلف، ولم يستطيع من اليوم فصاعدا قط الإطلاع بصفة حقيقية على الوضعية السياسية للحزب، وللمجتمع الجزائري حيث كان مبعدا عن مدينة الجزائر، واللجنة المركزيّة والقاعدة.

ونشاطي كمناضل سمح لي باللقاء مع أشخاص خارقين للعادة وللأسف سوف يبقون مجهولين من التاريخ، ولكن هم في الواقع مناضلوا القاعدة الذين يكوّنون القوة لحزب.

وحمزة عمار كان من هؤلاء بالذات، فهو مولود سنة 1915 بمدينة الجزائر، وكان يتيما وعمره أربع سنوات. وقد دخل سنة 1923 مدرسة فاتح (شارع فاردان) بالقصبة أين نال بنجاح الشهادة الإبتدائية "بعنوان الأهلي".

وسوف يباشر سنة 1928 تدريبه في النجارة بمدرسة شوزي عرباجي في شاعر (مارنقو)، ويحسّنه فيما بعد في الشركات الصغيرة أين عمل كمستخدم. وحين بلوغه سن (19) سنوات بدأ أن يهتمّ بالسياسة من خلال شخصيات معروفة أمثال مصطفى باشا، وعبدون، وبوطالب، وعبد الرحمان ياسين. ويتبع بإهتمام صدور جريدة " الأمة "، ومثل الكثير من الشبان في سنّه فإنّ خطاب مصالي بالملعب البلدي هو الذي سوف يدعّمه في إعتقاداته الوطنيّة. وفي سنة 1937، يدخله طالب كمنخرط في حزب الشعب الجزائري بفرع الدائرة الثانية (بالقصبة) أين يصير أمين المال. وبعد إعتقال مصالي، وكحال، دخل إلى المديرية، وفي ديسمبر من نفس السنة يشارك في المهمة المكلّفة بتحويل المديرية لحزب الشعب من باريس إلى مدينة الجزائر. وفي 29 جويلية 1938

حضر مؤتمر ولاية مدينة الجزائر الذي إنعقد بالمحلّ الموجود بشارع لبنان، والذي ترأسه بوقدوم مسعود الملقّب حوّاس، منذ قليل بمدينة الجزائر. وفي نهاية السنة ينخرط في الكارنا، يشارك في المهمة التي أرسلت إلى ألمانيا. وفي 1943، مشاكل عائلية أبعدته عن مناصب المسؤوليات (هو متزوّج منذ قليل، وأضاع زوجته التي تركت له طفلا) وبعد حوادث 8 ماي 1945 كلّف بإعادة تنظيم فرع السيدة الإفريقية، والذي ضاع مسؤوله حديثا. وفي 1956، وبعد إضراب الطلبة عرف الوقف من منصب معلّم.

وفي هذا الإطار لابد من إستحضار مناضل آخر كبير، هو محمد طالب الذي ولد سنة 1917، وكان أ:بر الذكور الأربعة، وأبوه من المغرب كان يمارس مهنة كاتب عموميّ بالقصبة. وقد إلتحق بالمدرسة إلى غاية سن (14) سنوات.

وفي 1936 إنخرط في نجم الشمال الإفريقي، بعض الشهور قبل دخولي بالذات إلى الحزب. وكان يتمتع بذكاء حادّ لمثل شاب من عمره، كما يتمتع بشجاعة التي تبعد عدم المسؤولية، فهو منظّم أصيل، دوما في مقدمة تأسيس الفروع في منطقة العاصمة. ولقد تبرز مبادارته أحيانا ممتازة للغاية مثل مبادرة تأسيس جريدة "العمل الجزائري".

وخلافا لذلك فإن مفدي زكريا كان له مسار سياسيّ متنوع التقدير. ومنذ إعتقاله الأخير في أوت 1937 فإنه لا يتابع قطّ إلاّ من بعيد تطوّر الحركة الوطنية. وفي سنة 1941 إكتسب محل تجارة للأقمشة بزاوية شارع (بوتين) بالقصبة السفلى، ومطمعما، وسينما دونيازاد مع هنّي داكي. وأثناء كلّ هذه الفترة أنشأ روايات مسرحية التي دارت بأوبرا مدينة الجزائر، وأغنيات. ولم يكن له تأثير قط على الحزب كما لم يطلب منه مصالي أن يندمج مجدّدا الأسرة الوطنية.

ويبدو أن حياته الخاصة وصداقاته قد حكم عليها بأنها لا تتلاءم مع المبادئ الأساسيّة المطلوبة من الحزب. وزيادة فكثير من منمخرطي المؤتمر الإسلامي، وجمعية العلماء يعتبرونه كعامل الإدارة إثر فعل عدم إعتقاله أثناء حملات الإضطهاد التي تبعت ولحقت أعضاء حزب الشعب الجزائري. وبالفعل فإنّه كانت له علاقات مباشرة مع العقيد (شون) وهو مدير الشؤون الأهلية بالحكومة العامة، وذلك ليس للإدلاء بالمعلومات الخاصة بنشاط المناضلين ولكن بالعكس للإطلاع على الوضعية السياسية والإقتصادية للبلاد.

ولقد تقبلنا، أنا وطالب لديه أخبارا التي حولناها إلى مسؤولينا. وكان لزكريا أيضا صديق شرطي إسمه سي محمد سعيد لعزيب، والذي يعلمنا مسبّقا عن بعض الإعتقالات، وهكذا يخدم أيضا بمثابة إتصال مع المناضلين الذين ألقي عليهم القبض حديثا.

وأعتقد أن زكريا قدم خدمات لايستهان بها للمنظمة أثناء (14) سنوات من عدم النشاط السياسي. وأحسن حجة هي كونه لم يكن، أبدا من أصحاب المخابرات للشرطة كما أنه كان على علم في نفس الوقت كمصالي مدّة إعتقاله بتأسيس الكارنا الذي لم تطلّع عليه الإدارة أبدا. وحين المدهمّات الكبرى لسنة 1945-1944، فإنّه جعل شقّقه في متناول المناضل الذين تبحث عنهم الشرطة. وإذا حينئذ كانت سيرته الشخصية قابلة للإنتقاد فمبادئه السياسيّة صارت دائمة في تلك الفترة المضطربة الخاصة بالحركة الوطنية.

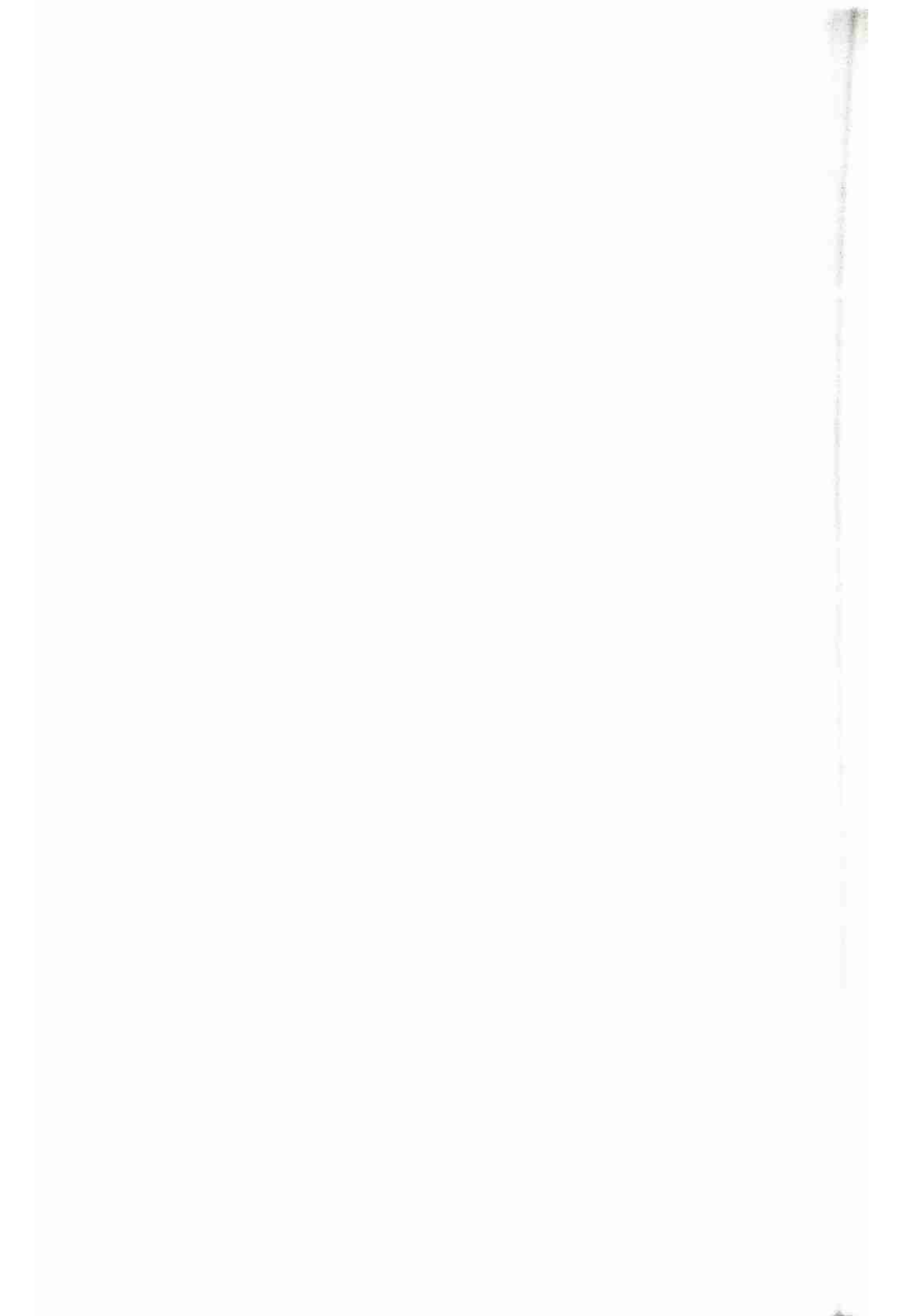
وخارج المناضلين الذين يهتمّون بالحزب، حزب الشعب الجزائري، بصفة ملحمة، كان هناك فوج من الوطنيين ليسوا بأعضاء الحزب، ولكن يقدّمون له أكثر الخدمات التي يقدّمها المناضلون. وأريد بالحديث : ماحي، سيد-عليّ قادري، هو تاجر الجملة بسوق

السمك، وحريري، وبولعراس، وهنّي محمّد، وبن صيام، وبن يوسف، وشخصيات رياضية، وحمود يوسف، وصهره دحمان حفيز الذين كان على رأس الحربة لكلّ هؤلاء الأشخاص لا يشملهم التنظيم كما كان في كلّ مكان أين إستوجب القيام بالدعاية، وكذلك أين كان لابدّ من الكفاح بالكلمة، واللكمات. والحاج دحمان الثائر، صاحب الأعصاب المتوتّرة، كان لا يقهر لما لزم الدفاع على الحزب ورجاله. وفي المجمل فإنّه دوما كان هنا أين وجب حضوره مع ذكائه، ولكماته، ولكن أيضا مع وسائله المالية. إنّ شاحنات مصنعه، وسياراته قد نقلت كثيرا من الأحيان مناضلين تبحث عنهم الشرطة كما كانت تسيح عبر كلّ مدينة الجزائر لتوزيع المناشير السريّة أو الصحافة الخفية للحزب. وكنّا أحيانا نلجأ إلى مساعدته لإيجاد محلاّ أو شقّة من أجل إجتماعات هيئة الإدارة، فهذه النضالية لم تتوقف إلاّ في 1954-1953 أثناء فرقة حزب الشعب الجزائري إلى تيارات متنوعة : المصاليين والمركزيّين. وإنّي أتمنى مستقبلا أن يكتب صديقي وأخي حاج دحمان ذات يوم ذكرياته لإطلاع الشعب الجزائري على أعماله البارزة، وإنتفاضاته، ومعاركه من خلال رأسه ولكماته.

وهناك توجد شخصية أخرى التي أريد الكلام عليها، وهي هنّي محمّد، الملقّب ذكّي، حلاق سابق بالقصبة، وهو أيضا تاجر نبيه، وفي محلّه سحلاقه، ونحو السنوات 1937-1936 كانت المحادثة الوحيدة التي تجري ضمنه تتعلّق بالوطنيّة، وينجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري. وبصفته مدافع عنيد عن الحركة الوطنيّة فإنّه يحارب سياسيّا الإصلاحيّين وكذلك الشيوعيّين دون أن يظهر لخصومه بأنّ له أفكارا وطنيّة وأنّه يساند النجم أو الحزب.

وأثناء الفترات الصعبة من 1944 إلى 1947، لعب دورا هامّا لدى المناضلين المتابعين من طرف الشرطة، وذلك بتوفير لهم المخابئ

المجهولة، وقد قدّم لمنظمة '' الكارنا '' الورق الضروري لطبع جريدة '' العمل الجزائري ''، وأيضا الكاغط لحزب الشعب من أجل مناشيره السياسية حيث كان يسيّر مطاعم. ولا ينبغي أن ننسى بأن أثناء السنوات السوداء من 1943 إلى 1950، لا توزّع الإدارة الكاغط الضروري للنشر إلاّ بالقدر النادر، وخلافا لحاج دحمان حفيز، فإنّه كان يمتاز ببرودة الأعصاب غير أنّه يفكّر بكيفية صائبة. ومع صاحبه المتواطئ معه، سي أمحمّد صفاقسي، كان لا يغلب لمّا يعني الأمر بالمجادلة مع خصومه السياسيّين.



مصلحة الضرائب

ولقد تمّ توظيفي بمديرية الضرائب في 21 جوان 1941، وهو يوم غزو روسيا لألمانيا، وبدأت في مصلحة السجّلات كعون. إنّ مصلحة الحسابات يهتمّ حينئذ بجميع السجلات الواردة من بلدات الوسط الجزائري من شلف إلى البويرة.

وفي 1947، الأعوان الذين يتوفرون على بعض الشروط يرسّمون كخدّام المكتب، وبعد تحصيلي على هذا المنصب، شاركت سنة 1950 في مسابقة داخلية من أجل ترتيبي مجدّدا كمستخدم الأسس الضرائبية. وكانت هناك عشرة مناصب تستحق أن تمنح. وكنت واثقا حيث مضت مسابقتي على ما يرام. ويوم الإعلان على النتائج إستدعاني نائب المدير، السيد (قايك)، ليخبرني بأنّ ترتيبي إحتل المكان (11) حيث مترشحة أوروبية رأت تثبيتها في المكان (10) رغم أنّها سلمت ورقة بيضاء، فكانت صديقة المفتّش الرئيسي. وفي 1952 تمّت تسميتي في القسم السادس الذي يسيّره (ريني ماتين) حسب طلبي. وكان تحت إشرافه أحياء باب الوادي، وحي السيدة الإفريقية، ونهج جبهة البحر إلى غاية بلوغين. وكنّا مستقرين في عمارة البلدية القديمة لمدينة الجزائر، في الطابق الثالث، الذي كان المنفذ إليه صعبا. وكانت تقول لي زميلة، إمرأة كبيرة غير متزوجة، جدّ تقية عن كل أمسية : " هل قمت اليوم بما يسمّى (B.A) ؟ وهذا (B.A) يعني عدم إرسال الدافعين للضرائب كبار السنّ ولو كانت وضعيتهم ناقصة، وذلك ما صعدوا ثلاث طبقات.

وكنّا خمسة مستخدمين في هذا القسم : الآنسة كبيرة السنّ، ومفتّش، وخادم بلدية يهودي ولكن إعتنق المسيحية، ورئيس القسم (ماتين)، وأنا بالذات.

السيد (مارتين) ولد بالبليدة، وكان رجلا خارقا عن العادي، وكان له أفكار يمينيّة التي يدافع عنها دفاعا شديدا كما كان من المعجبين العلنيين (ببينان). وكان لا يحبّ اليهود، وكان بالأحرى أبويّا إزاء الجزائريّين ولكن صاحب فضيلة خالصة.

وفي 1952، كانت المضايقات الغذائية دائما موجودة، وقد دلّته زوجته ذات يوم على صندوقين من الأغذية، اللذين تسلّمتهما حديثا، وبعد تناول فطور صباحا بهدوء ذهب عند صاحب الحانوت الجزائري في الحي وطلب منه أن يسترجع حينا صندوقيه وإلاّ يتحتّم عليّ أن ينادي الشرطة.

وفي 1952، شارك كلّ من حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، والحزب الشيوعي في الإنتخابات البلدية، ويوم الإثنين صباحا سألني إذا الوطنيّون قد تحصّلوا على مقاعد. وأمام جوابي الإيجابي سمح لنفسه ببعض اللحظات من التأمّل ثمّ قال لي : " إذا الجزائر تحصلت على إستقلالها فأنان (مارتين روجر)، سوف أكون مواطنا أمريكيّا حتى لا أختار بين الجزائر وفرنسا ".

وسوف أتذكّر دوما على تلك العشية من 29 مارس 1953، فطلب ثلاثة رجال المفتش الرئيسيّ. وأدخلتهم في مكتبه ولكن لم أطلع على محتوى القصة إلا في يوم الغد، الذي سرده المفتش نفسه، فإن الرجال الثلاث كانوا مفتشي شرطة وأرادوا الإطلاع على الملف الضرائبي لجريدة " الجرريبوبليكان " التي كان مقرّها واقعا بشارع (كوكلين)

بباب الوادي فهي ترتبط حينئذ بمصالحنا. وهم يريدون البحث عن أصل المساعدات المالية للجريدة لأنّها دون تتسلّمها من روسيا. إن الشرطة كانت تعتقد أن تجد حليفا لإزالة الجريدة اليومية نهائيّا حيث تعلم بأفكار مفتش الضرائب المعادية للشيوعيّين. غير أنّه إشترط أمرا مكتوبا من المديرية العامّة لتسليم الملف الضرائبي، فالكشف عن السر المهنيّ يعتبر جريمة، وهو لا يخالف هذه القاعدة. وقررت الشرطة إنهاء القضية. وجرت مرحلة أخرى سنة 1953 أين نفس هذا المفتش الذي إستوجب عليه أن يجد وسالة متوسطة للمشاكل المطروحة من طرف رعاياه.

إن التاريخ الأقصى لوضع بالتصريح الضرائبي كان دائما محددا في 31 مارس كأجل آخر. ولمّا هذا الأجل لا يحترم تسلط عقوبات مالية على المتأخّرين وفي أول أفريل جاء حينئذ (مارتين) يطلب منّي إلى أي حدّ يمكن تأجيل التاريخ فأجبته : " إلى (5) أفريل المقبل حيث تمنح أجل التسامح " وهذا التاريخ يوافق يوم السبت، فوافق. وطبّقنا هذا القرار، ولم تفرض أي عقوبة على المتأخّرين. وإنطلاقا من (7) أفريل فإن العقوبات المالية كانت مطبّقة بصرامة. وفي (11) أفريل فالتصريحات تصل دوما، ومن جملتها تصريحات أمّ وأخ المفتّش. وبعد أن ألقى عليها نظرة صاح : آه ! الأنذال. إنّهما قاما إزائي بدور وسخ.وإذا طبقت العقاب المالي سوف نفسد علاقاتنا فأرجو منك أن تلغي العقوبات المالية عن كلّ النّاس إلى غاية (11) أفريل وأجبته: " ففي هذه الحالة لم يلحق ضرر بأحد "، فردّ علي قائلا : " بلى ! الدولة وهذه الإدارة. إنّنا هنا من أجل الدفاع عن مصالح الدولة في سبيل الحق، والشرعية ".

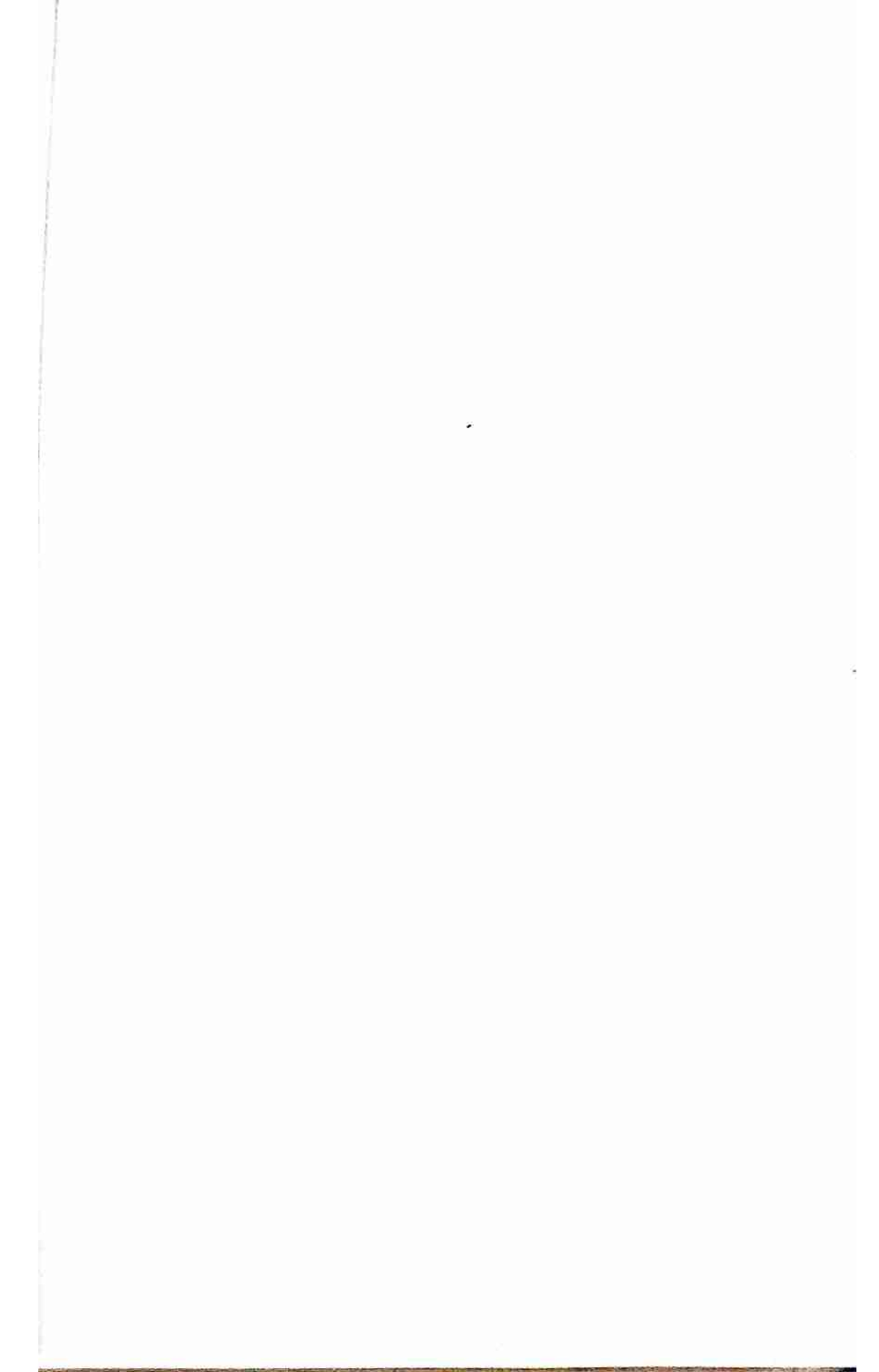
إنّ الرجل النزيه كان موضوع ضغوطات متنوّعة فقد حضرت ذات مكالمة هاتفية من طرف رئيس المجلس العام، السيد (مارسيل بلعيش)

الذي يتوسّط لشخص إسرائيلي من ظائفته، فإنّه ذكر جهله للنصوص تبريرا. ونصحه المفتش بتقديم شكاية للمديرية العمالية. وبعد لحظة لاحقة هاتف مدير العمالة بدوره حيث طلب من اللازم فعل شئ إزاء رئيس المجلس العام، فصرح له المفتش بما يلي : " أنتم أعلى منّي، ولكم حينئذ كل الإمكانيات الشرعية ليتمتع صاحب دفع الضريبة بتخفيف أو منحة ". وإنتهت المكالمة هنا.

ومن جملة زملائي الآخرين سوف أحتفظ بصديقي آيت بلقاسم لعربي. هو سابقا من تلامذة المدرسة الثعالبية (مدرسي)، مزدوج اللغة، وقد تمّ توظيفه في منصب شاوش – مترجم. وبصفته حاجب فإنّه يوجه رعايا الإدارة نحو المصالح المعنيّة، وبصفته مترجم فإنّه يترجم إلى العربية الإنذارات الموجهة إلى الذين يدفعون الضرائب المسلمين بالبلديات المزدوجة في عمالة مدينة الجزائر. وكانت له مهمة فتح الرسائل، وتوزيعها نحو المكاتب المختلفة. وكانت المراسلة تتضمّن أحيانا رسائل الوشاية، وضمنها يندّدون، على سبيل المثال، بأناس لم تكن حالتهم بالنسبة لإدارة الضرائب حسنة أو هناك شئ خطير حيث يندّدون بأعضاء حزب الشعب الجزائري يكونون مجهولين لدى الشرطة. وبعدما إطّلع على كل هذه الرسائل ناداني سي العربي من مخزنه كعامل تلفون، وسلّم البريد الذي به ضرر. ومن الأكيد فإني أعدمته بعدما قرأته. وهذا دام عدّة سنوات، فهو لعلّ من شكل أشكال الوطنيّة.

وفي نهاية ظهيرة كنّا نتحاور بصفة وديّة لمّا دخل متفّش في مخزنه. وكان يأتي أحيانا بتناول أطراف الحديث مع سي العربي الذي كان ليه في ذلك الوقت بالذات الجريدة المسائية.وكانت هناك مقالة تتكلم على موضوع القبائل. إنّ المفتّش الذي قرأ الجريدة سابقا، لاحظ

أنّ القبائل يستحقّون كيفية أحسن في الجرائد لأنهم عمّال جادّون وأذكياء خلافا للعرب الكسالى، وأغبياء. وبعد وقت كان فيه سي العربي ساكتا، فإنّه يرفع رأسه ويقول له : سيّدي المفتّش فإن أبي من منطقة القبائل وهو يفخر بأن يكون كذلك، كما هو يحبّ العرب كثيرا ممّا جعله عند ولادتي أن يسمى العربي، وذلك بعدما كان له ثلاث بنات، فإنصرف المفتش دون أن يفوه بكلمة. وخرجت أنا مفتخرا بصديقي.



إندلاع الكفاح المسلّح

وذات صباح من سنة 1949 تنشر الجرائد في الواجهة العمل الأول للمنظمة الخاصّة. وكنت ألتقي بطالب، كما أفعل ذلك عدّة مرّات في الأسبوع، فقرأ لي جريدة (ليكو دالجي) التي تصف هجوم مكتب البريد بوهران. وإطلعني على أن المنظمة الخاصّة كانت وراء تنظيم هذا الهجوم ولكن دون ما يذكر لي من هم القائمون به. وفي (10) ماي 1950، أعتقل بن بلة.

وفي 14 فيفري 1952 ضاع لي صديقي أيضا، وهو أول صديق لي ضمن حزب الشعب الجزائري : طالب محمّد، وكان مناضلا نشيطا وصارما ومتشدّدا مع محاوريه بنفس المبادئ التي يفرضها على نفسه بالذات. ويمتاز بصفة المنظّم، صاحب شجاعة غير أنه يدرك أن يحدّد نشاطه لمّا يمسّ بخطر الضار للحزب، ولمّا كان أمنه وحده في الميزان، وبصفته أبيه كمغربي فإنه يعتبر فرنسيّا قانونيا حيث كان إبن أجنبيّ مولود بالقطر الجزائري.

ومنذ إبعاد مصالي فالجوّ ضمن الحزب قد عرف تدهورا لا محالة، فبعض الأعضاء ينقلون محادثات وقرارات مصالي، أحيانا مشوّهة ممّا لا يسمح إلاّ في الطين بلّة أي عدم التفاهم بين الرئيس، وأعضاء اللجنة المركزيّة. وشكوى ثقيلة جدّا ذات عواقب قد زادت للنزاع لمّا مصالي طلب بالسلطات الكاملة. إنّه آخر حادث قد أوقع المعارضة بينهم. وأمام النتائج السلبية التي تعرض لها مصالي إثر الإعتقالات المتعدّدة

فاللجنة المركزيّة إلتمست موافقته لتنظيم قراره نحو بلد عربي من إختياره حيث إعتقدت اللجنة تسوّي المشكلة الدائمة المتعلّقة بحسبه، وبمشاكساته مع الإدارة. وإجتمعت هيئة الإدارة عدّة مرّات من أجل التنظيم المادي الخاصّ الفرار بعدما تمت الموافقة مبدئيّا من مصالي. وفي اليوم المعيّن لم يكن مصالي في الموعد. ولقد ردعه بعض أعضاء اللجنة المركزيّة فأسماؤهم معروفة ولكن لم أكن متحقّقا من أنهم كانوا أصلا سبب القضية. إنّهم حلّلوا مشروع الفرار كنيّة '' الشبان على الطريقة التركيّة '' المنتمين إلى اللجنة، والتي ترمي إلى إبعاد مصالي من البلد، وسوف ينساه الشعب وعليه فهؤلاء الشبان سيأخذون مكانه. وهذا التيار من الممكن كان يتألف خصوصا من مثقفي الحزب. وعقب هذه المآخذ المتراكمة قد إنفجرت الأزمة في رائعة النهار.

وإنطلاقا من تلك اللحظة كلّ تيار ينتمي إلى مصالي، وإلى المركزيّين أصدر جريدته. وكما ظهرت إزدحمات، ومناوشات أثناء بيع الجرائد، وصارت المطبعة للحزب سببا جديدا للإختلاف.

وكلّ تيّار نظّم مؤتمره سنتي 1953 و1954، ومع أنّني لا أنتسب إلى اللجنة المركزيّة، ولا المديرية فإعتبرت نفسي من المركزيّين، وكنت لا أوافق أنصار مصالي لأنّهم يدافعون عن مواقف متطرفة دون أن يكون لديهم وسائل سياستهم. وألتقي مرارا المركزيّين الذين يعقدون إجتماعتهم لعدّة مرات بمنزلي. وفي 1954 سلّموا لي الخزانة المالية للحزب التي تحتوي على مئات عديدة من الذهب.

وفي أوّل نوفمبر 1954، أعلنت الحرب ضد الإستعمار الفرنسيّ دون إعلام غالبية مناضلي حزب الشعب الجزائري. وكنت شخصيّا أعلم بالتحضير المتقدّم بلا معرفة مضبوطة لإطلاق أول رصاصة. ويوم الأحد أو نوفمبر على الساعة الخامسة بعد الزوال أعلنت جريدة المساء

" الساعة الأخيرة " (بالفرنسية) عن الأحداث بالأوراس، والقطاع القسنطيني. ومن ساحة الحكومة (الشهداء) أين علمت بالخبر، تردّدت على مقهى (مارنقو) لأطّلع على رأي أصدقائي الوطنيّين. وقد تعجبت من جوابهم، فكلّهم كانوا ضد إندلاع الكفاح المسلّح. وكلّ واحد منهم يدافع على سبب مقبول، أي عدم كفاية التسليح... الخ. وأمّا فيما يخصّني كنت واثقا لا فيما يخص نتائج الإنتفاضة ولكن بالأحرى خلافا لذلك كنت متيقّنا بأن الإنتفاضة سوف لا تطول مدّة طويلة وأن القمع سوف يكون شديد للغاية. وكنت بالأخص متفائلا نظرا للمساعدة التي يقدّمها لنا إخوتنا المغربيون، التونسيّون الذين هم أيضا يكافحون بالشرق والغرب. وإسترجعت بالذاكرة نجم الشمال الإفريقي وبرنامجه، وتحرير شمال إفريقيل من نير الإستعمار الفرنسي.

وفي قرابة بداية الإنتفاضة فإن الإدارة الفرنسيّة إعتقلت كثيرين من المسؤولين المصاليين، والمركزيّين على حد سواء، أمثال بودة، وبن خدّة، ولكن أطلقت سراحهم لعدم البراهين. وأثناء ما يقارب عشرة شهور ساد هدوء نسبيّ، وأثناء، إنتظمت معاقل الثورة، وأنشأت أفواج المعركة في كلّ البلاد، وهي الفترة فرضت أثناءها جبهة التحرير الوطني بعض الشعارات تتعلّق بمنع التعاطي للتبغ والخمر.

وبعد سلسلة من المحادثات إلتحق المركزيّون بالجبهة، وقد إنعقد إجتماعات بمترلي مسبّقا وضرهما المركزيون : بودّة، وكيوان، وشرشالي.

ومنذ توحيد الحركة الوطنية طلب مني بن خدّة أن يسلّم له الخزانة المالية للحزب، والتي وضعتها عند أحد من أهلي، زواوي بشير، ومنذ ذلك اليوم كنت تابعا لخدمات بن خدّة.

وفي نهاية سنة 1955، إلتقيت بحاج شرشالي الذي نقل لي الملاقاة مع الحاكم العام الجديد (سوستال) بحضور فرحات عباس. وصرحا له بأنّ هناك نقصان في المعارك والإعتداءات الشخصيّة. وكان رأي الحاكم العام خلافا لذلك. ولم يوجد هناك معارك كبرى، ولكن تأزّمت الوضعية نحو الخطورة لأن السكّان المدنيّين تعرّضوا الآن إلى نتائج الحرب. وكلّ الذين لا يستجيبون لشعارات أهل معاقل الثورة أو يخونون فإنّهم يحكم عليهم بالعطب، فتطع أنوفهم أو شوارهم أو ببساطة يقتلون، غير أنّ الصحافة لا تتكلم عليهم.

وقبل مغادرتي ذكّرني شرشالي بفترة تأسيس حرب حركة إنتصار الحريات، والإنتخابات الاولى. وبالنسبة إليه فالحركة الوطنيّة لم تفهم قطّ طموحات الشعب، ولا الأسئلة التي طرحها علينا مناضلو البوادي الذين يطلبون منا أسلحة، وليس أوراق التصويت، وفي فكرنا كنّا نعتقد أن ذلك كان ذريعة للإمتناع عن الإنتخاب، مع أن بالنسبة للوطنية القيام بالإنتخاب حينئذ معناه سحب بطاقته الخاصة بالتغذية، والتمدرس للتلاميذ، وتهجيم الدوار كلّه. إنه شئ ما قد أفلت منا.

وبداية سنة 1956، لقد تضاعفت الإعتداءات الشخصيّة ضد الأقدام – السوداء، وبعض أعوان (الإدارة الفرنسية)، كما توسّع الكفاح بين جبهة التحرير الوطني، والحركة الوطنيّة الجزائرية، وإنّني عشت بكثير من الحزن وفاة إخوة كثيرين أمثال قادري سيد علي، وماحي، و"بابيون"، وبوجريدة فهم مناضلوا الحركة الوطنية الجزائرية قتلتهم الجبهة.

وبدأ الشبّان يلتحقون بكثر أدغال الثورة، وتعدّدت أكثر فأكثر حالات عدم التجنيد على مستوى الجيش الفرنسيّ. وفكرت هيئة الدرك في إستعمال خدمة الضرائب للإطلاع على العصاة، فهي لا تعرف

السيد (ماتين) مفتّشنا المركزيّ. وفي آخر سنة 1955، وبداية 1956 لاحظت أن الدركيين يتردّدون على قسم القصبة لأخذ معلومات على إسكان الشبّان الجزائريين الذين لا يلبّون دعوة مكتب التجنيد للجيش. ولما كانت هيئة الدرك مسرورة بإعانة هذا القسم فإنّها أوفدت فوجا آخر لدى قطاعنا بحي (كليماجي فرنس). وحين تقدّم الدركيّون أمام المفتّش (مارتين)، فهذا الأخير صرّفهم قائلا : '' خدمة الضرائب خدمة مالية التي تسعى لإدخال المال في صناديق الدولة وليست خدمة البحث عن الفرار من التجنيد. وقولوا لرؤسائكم بأنّني سوف لا أسلّم لهم أي معلومة '' وإنسحب الدركيّون وهم يحيّون.

تنظيم ماليّة جبهة التحرير الوطني

وفي شهر جوان 1956، إتّصلت برسالة بواسطة سائق تاكسي حاج رابح بدّارين فهذه الرسالة سلّمها له حارس السجن يوعلام دباح، وهي بعثها المحكوم عليه بالإعدام، زيانة، والذي كتبها إلى أمّه، وأراد أن يطلّع عليها المسؤلون.

وولوج هذه الرسالة في الجرائد التونسيّة كان لها صدى كبير. وقد توفي زبانة بكثيرة من الكرامة، والشجاعة كما قتله كما موضوع تحية من طرف أكثر من (60) إعتداءات في يوم واحد بمدينة الجزائر.

وفي نفس اسنة، بعثت إليّ لجنة التنسيق، والتنفيذ مبلغ (600.000) فرنكا فرسيّا بواسطة حمادة، مناضل باسل، وهذا المبلغ إستوجب عليّ أن أحتفظ به في مكان ثابت. وقرّرت توزيع المال في أماكنة مختلفة، عند صديقي سيد أحمد دحيمان، وعند بن مرابط، وعند تركمان، وهو تاجر أحذية. وأياما فيما بعد وصل حمادة إلى مترلي بسرعة مفرطة دون إشعاري، وهو مرفوق بثلاثة مناضلين تبحث عنهم الشرطة بحثا حثيثا حيث شارك في إعتداءات كثيرة وخصوصا في هجوم محافظة الشرطة بنهج الشهداء، والذي نتج عنه موت المحافظ وعدّة شرطين. ولما أخبر بن خدّة بذلك أمر بإبعاد هؤلاء المناضلين نحو البادية. وفي المساء ذاته، وعلى الساعة العاشرة ليلا أتى محفوظ دحمون يبحث عنهم، فهؤلاء المناضلون قد لحقوا حتفهم أثناء الثورة.

وفي شهر جويلية 1956 قد نظّمت من (40 إلى 50) إعتداءات فرديّة يوميًا بمدينة الجزئر وأمّا إنفجرات القنابل، والقنابل اليدوية لا يحصى عددها قطّ.

وفي (5) جويلية أمرت جبهة التحرير الوطني بإضراب تذكير بدخول الفرنسيين إلى مدينة الجزائر.

وفي إدارتي عرف الإضراب نجاحا متوسطا. وقد عاقبوني على إتباع أوامر الجبهة كما سحبوا مني الأشغال الإضافية التي كانت أستفيد منها في السنة بمدخول لابأس به.

وفي 15 أوت 1956، أسقطت بالرصاص الحركة الوطنيّة الجزائرية حمادة الذي كان جالسا حول منضدة بمقهى الدائرة الثانية، قرب مدرسة التدريب.

في الأيام اللاحقة شاهدنا إنفجرات قنابل مقهى (كافتريا)، وقد وضعت إحداها جميلة بوحيراد، كما وضع قنبلة المتطرفون بالقصبة، والتي أوقعت ضحايا عديدين من ضمن النساء والأطفال.

إنّ الأيّام كانت موشاة بإعتداءات، وإنفجرات، وأموات، وفي شهر ماي 1956، أمرت لجنة التنسيق والتنفيذ بالإضراب المدرسيّ فإتباعه كان بصفة متباينة. وظهر لي غير معقول فقررت إرسال ولادي إلى المدرسة لإتباع الدروس بصفة عادية. وفي آخر شهر نوفمبر إستقبلت بن خدّة الذي أطّلعني على إضراب ثمانية أيام، الذي عيّن في بداية السنة 1957. ولقد إتخذ القرار لتدعيم مناقشة القضية الجزائرية، التي من المفروض أن تجري بجمعية الأمم في دورتها المقبلة، فأخبرته بعدم الموافقة ولكن عنّفني قائلا : " موافقة أم لا، فهو أمر أقرته لجنة التنسيق والتنفيذ ". وقد أتى ليكلّفني بإنشاء بنوع من " خدمة الضرائب "

الذي من شأنه أن يطبق قليلا من العدالة إزاء الشعب وإنّ بعض التجّار لا يربحون كثيرا ولكن يفرض عليهم بكيفية ثقيلة مع أن آخرين يربحون أكثر ويدفعون إشتراكات أدنى، فمناضلوا جبهة التحرير الوطني ليس لديهم مقاييس موضوعيّة للحكم على كل واحد من الحالات وهم مكلّفون بفرض الإشتراكات على التجار. وكان الأمر يعني وضع شعور بالعدل بحيث يعدّ سلّما يعتمد على وثائق موجودة في الإدارة الفرنسيّة. إنّ المهمّة شاقّة، وقلت له أنها دون شكّ تؤدي بيّ وبمناضلين آخرين إلى السجن. ولم أكن في ذلك خاطئا قطّ.

وحين يوم الغد بدأت الأبحاث لإيجاد المستخدمين بالضرائب يكونون مستعدين لمساعدتي في هذه المهمّة. وإستشرت أولا تمام مراد الذي كان يعمل بالمديرية ويمتلك حينئذ كلّ الوثائق التابعة لعمالة الجزائر العاصمة. إنّ مراد الذي كنت أثق به ثقة كبيرة، رضي دون تردّد. والثاني كان آيت بلقسام محند، مسؤول قسم القصبة. والثالث كان جندر، مراقب بالمفتشية في الأبيار. ولقد عاون كلّ الثلاثة دون مشكل وبادروا بالعمل، ووفروا لي كلّ الوثائق الضرورية. وإنطلاقا من هذه الوثائق نسخت دفاتر الأصول التي إستوجب عليّ أن أملأها، وأضعها في متناول الخلايا.

وقد دام العمل ما يقارب (45) يوما، إلى غاية مساء إضراب ثمانية أيّام المحدّدة لتاريخ 28 جانفي 1957. وأثناء كلّ أسبوع الذي يسبق الإضراب كوّن أهل مدينة الجزائر مخزونات الأكل لمواجهة الزمان الصعب.

وفي اليوم الأول طبق الإضراب بإجماع ولكن حين اليوم الثاني فإن تدخلات الشرطة، والجيش أثارت إرتداءات ضمن السّكان، وشخصيّا طبقته دون مشكلة، ولا ضغط. وإنتهى بإعتقالات عديدة،

فكلّ خلايا جبهة التحرير الوطني تمّ تفكيكها، والمناضلون تعرّضوا للإعتقال، وكذا الرجال الذي كان البحث جاريا عليهم من أجل نشاط وطني سابق.

ولقد أرسل كل الرجال تقلّ أعمارهم عن (30) سنة إلى المخيمات في شاحنات عامرة. وكانت الأسئلة دوما متشابهة : هل يدفعون الإشتراكات لجبهة التحرير الوطني ؟ لمن ؟ ويقف السرطيّون سريعا جدّا على المسؤولين أمناء المال الذين يتّهمون حينئذ بجمع المال.

إن منظمة مدينة الجزائر عرفت التحطيم الكامل، كما أن المناضلين الذين تعرّضوا للوشاية قد ألقي عليهم القبض في مكانهم لأن لم تكن أي فرصة فرار ممكنة. وكلّ أحياء المسلمين، وخصوصا القصبة كانت في حصار مربّع من طرف الجيش الذي إستقرّ داخل البيوتات نفسها أو على السطوح. ولمّاإنتهى الإضراب تردّدت إلى مكتبي بنهج 8 نوفمبر بتاريخ 3 فيفري 1957. وأوّل شخص إلتقيت به كان المفتّش (مارتين) الذي أدخلني إلى مكتبه ليسألني عن سبب غيابي، فأجبته بأنّني تبعت أمر إضراب جبهة التحرير الوطني. وغثر إعجابي الكبير فإنّه شكرني على صراحتي قائلا : " إنّك لم تذكر ذريعة المرض مثل الآخرين الذين قدموا لي حتى " شهادات طبّية ". وفي آخر الحديث أخبرني بتوقيفي من وظائفي إلى أجل جديد.

وعلمت حين يوم الغد بواسطة تمّام عبد المالك أن بوعياد محمود قد ألقي عليه القبض حيث كانت معه مناضلة، كاتبة على الآلة، تعرف الضرب الخاص بالوثائق التي أحضرها ويسلمها له تمّام.

ومساء الإضراب هاتف إلى تمام ليعرف ماذا يفعل بالوثائق ؛ فهذا الأخير نصه بأن يتركها في مكتبه الكائن بالمكتبة الوطنيّة في القصبة

السفلى أين تكون في مأمن أكثر. ولما علمت بإعتقال بوعياد إعتقدت أنّه الطبيب. ولكن كان الأمر يعني أخاه العامل بالمكتبة. و لم أر بوعياد لأول مرّة إلاّ في محلات مديرية أمن القطر، في اليوم الذي قدمونا فيه أمام قاضي البحث، وهو ينتسب أصلا إلى تلمسان صاحب ثقافة مزدوجة، ومبرز في الآداب، ومتحصّل على شهادة جامعة القرويّين بالمغرب الأقصى.

وفي اليوم الرابع من الإضراب فإنّ المديرة تبحث على وثيقة موجهة إلى المديريّة. ولمّا لم تجدها فإنّها بادرت مع الكاتبة الأوروبيّة على البحث في مكتب بوعياد. وكان الغلاف يحمل فعلا " السيد مدير المصلحة ".وتمّ فتحه وهذا الغلاف لا يحتوي على وثائق المصلحة ولكن على وثائق جبهة التحرير الوطني، فكان بوعياد حقاً " أحد الفلاقة " وحينا تمّ إستنفار الشرطة. والقضية عرفت الكتمان إلى غاية رجوع بوعياد في آخر الإضراب. وعلمت كل هذه التفاصيل من المديرية نفسها التي أدّت الشهادة أثناء تقديمنا أمام المحكمة العسكريّة. وكانت المرة الأولى التي تنعقد فيه المحكمة العسكريّة من أجل قضية مدنية من هذا النوع.

طبعا فبوعياد ألقي عليه القبض ولكن ثبت أثناء كلّ الإستنطاق بأن طالبة شابة طلبت منه الإحتفاظ بهذه الوثائق. وبقي وصفه غامضا جدّا. وبعد يومين من البحث بدون جدوى بالجامعة فإن الشرطة حاولت تفكيك لغز كلمات (BIC، وBNC، وTAIC، وICR) وهي تدلي بالتوالي على : الفائدة الصناعية والتجارية – الفائدة غير التجارية – إتاوة النشاط الصناعي والتجاري – الضرائب الإضافية على المداخيل) المذكورة على الوثائق، والنقيب المكلّف بالتحقيق هو الذي وجد الحلّ، وقد أقرّ لي بنفسه فيما بعد الصعوبات التي صادمته.

وحين إكتسبت الشرطة اليقين بأن ذلك يعني مسألة ضرائب فإنّها طلبت من المدير أن يعترف بكتابة الوثائق الأصلية، فكانت كتابة محند آيت بلقاسم، الذي نادوه بصفة عاجلة في مترله، بحي فصّر اثناء الإستنطاق بأنه فعلا صاحب الوثائق. وعلى السؤال المعرفة المرسل إليه فذكر إسمي، وأعطى حتى عنواني.

وقد عرفت محند منذ سنوات طويلة حيث كان جاري وزيادة صهر صديقي سي العربي، إنّه الوحيد من ضمن الجزائريين القلائل، الذي إرتقى إلى منصب مراقب الضرائب، ومسؤول على قطاع القصبة. و لم يتردّد لحظة واحدة في العمل لجبهة التحرير الوطنيّ حين إتّصلت به. وهو ذكيّ، وكتوم ولكن بسيط الطبع، فإنّه يعترف بنفسه كان من المفروض يستطيع أن يجد سببا آخر عوض أن يعطي بكلّ بساطة إسمي إلى الشرطة. ولقد بقينا على كلّ حال صديقين جيّدين.

أهوال السؤال

لما تحصّلت مديرية أمن القطر (DST) فسجنت آيت بلقاسم ببوزريعة وأتت تعتقلني في نفس الأمسيّة على الساعة التاسعة ليلا. وبعد الترتيبات المألوفة، طلب من الشرطي المسؤول إذا كنت أملك أسلحة، فطلبت منه بدوره إذا يثق بي إذا أبته بلا، فصاح : " إجابة ممتازة ! " ومرّة في المركب، من نوع (404)، صرّح لي بأنّه لا يفهم حيث موظّف فرنسي يكسب فيلا جميلة يستطيع أن ينخرط في حركة مضادة للفرنسيين. وإضافة فإن كل الأخبار الخاصة بي كانت ممتازة وتشير إلى أنّني لم أشارك أبدا في حركة سياسيّة. وخلاصة القول كنت مواطن جيّد.

ولمّا إستمعت له قد خطر ببالي تراجع لأني بنيّتي منذ البداية بالإستنطاق أن أطالب بإنتسابي لجبهة التحرير الوطني. وعند وصولي إلى مديرية أمن القطر تركني الشرطيّون حرّا في حركاتي بممرّ، ومفتش الحراسة كان في تلك الأمسيّة بالذات صديق الطفولة من دلس، خليف محمّد، فجاء نحوي وقال لي أن المتهم معي موجود بالممرّ المجاور، وأستطيع الحديث معه لترتيب دفاعنا ؛ فرفضت، حيث لم يكن لدي شئ أقوله إياه لأنّه قد أسرّ للشرطة مسبّقا بكل شئ.

وعزلوني في زنزانة التي لا تتجاور مترين طولا على متر واحد وعشرين عرضا، وكنت لا أتوقف على فعل السير على الأقدام بصفة دائمة. ولاحظت بأن أحذيتي قد تقطّعت بالكامل من جهة أخمص

رجلي حيث كنت أدور كضبّ في قفص لمدّة طويلة. و لم يبق لي إلاّ أسفل الجوارب.

وفيما بعد أتوا ليضعوا لي على عينيّ غشاء وليذهبوا بي إلى الإستنطاق الأوّل، وبعد الأسئلة العادية حول جنسيتي، ونشاطي، ونشاط أسرتي طلبوا منّي إذا كنت عضو جبهة التحرير الوطني فأجبت بلا. ومن الذي أمرني بفعل هذا العمل؟ فأجبت بن خدّة. وعند هذا الإسم قفزوا، وسيل الأسئلة زاد في السرعة :

- كيف عرفت بن خدّة ؟

كان صيدليّا متربصا عند أ.بن حبليس، رئيس الملودية. ويعرف بأنّني موظّف في الإدارة المالية من خلال بن حبيلس الذي يلتجئ مرارا إليّ في تصريحاته الضرائبية.

- أين إلتقيت به ؟

هو الذي جاء إلى مترلي، ذات أمسيّة من شهر ديسمبر.

- هل جاء راجلا أو في سيّارة ؟

أعتقد أنّه جاء في سيّارة، وتوقف في الشوارع الجوارية.

- ما هو رقم اللوحة المعدنية ؟

لا أعرفه لأنّي لم أرى السيارة.

- هل قال لك لماذا يطلب العمل ؟

نعم، ذلك من أجل وجود عدالة أكثر إزاء المواطنين، فالإشتراكات لابد أن تتناسب مع المداخيل. ويبدو للمنظمة أن الوثائق لدى الإدارة سوف تسمح بوضع قياس أنصف.

- أين مقر بن خدّة ؟

لا أدري.

إنّ هذا السؤال يرجع عدّة مرات، وذهب الذين طرحوا الأسئلة وعوّضوا بأشخاص آخرين الذين جرّوني نحو حصّتي الأولى من التعذيب ودائما غشاء على عيني. وبدأوا بربط فخذي، ويديّ على المستوى الكعبين. ودسّوا عصى تحت الفخذين على مستوى الركبتين والذّراعين حتى يتدلّى الرأس إلى الأسفل. ثمّ جلدوني وقتا طويلا على الأخمصين بسوط. وكان الألم قاسيّا للغاية لأنّ الدم لا يمرّ، فالضربات أثخنت الأخمصين، والسؤال حول مسكن بن خدّة يعود ولا يتحصّلون دوما إلاّ على نفس الجواب. وبعد هذه الحلقة التي دامت نصف ساعة تقريبا، تعرّضت إلى حصّة الكهرباء التي ظهرت لي أقلّ ألما. ثمّ جروني إلى حوض ليمسّدوا بطاتي الساق لأستطيع المشي عاديّا. ولما أرجعوني إلى زنزانتي طلبت من رفيقي المسجون إذا القارات كانت ظاهرة بقوّة على الأخمصين فأجابني بأنني لا شئ يظهر عليّ، وليس هناك أي أثر جرح ولا صدمة.

وأثناء كل هذا الوقت كان بوعياد يسمع صياحي فيتأسّف على المسكين الذي أمثله، كما كان يفرح كثيرا إذ لا يعرف صوت تمّام حيث صوتي كان لديه غير معروف وقتئذ.

وأثناء خمسة أيّام نفس حصّة التعذيب تكرّرت، وكان الألم بصفة شديدة حتى أنّني فكّرت زمنا أن أخور وأفشي بكلّ شئ. وفجاة فكرة قد إنتابتني. لو أتلو سورة " الكرسي "، فالألم سوف يكون حتما أقل صعوبة للتحمل. وتلوت السورة فإضمحلّ الألم، حتى وإستطعت في الأوقات الأخيرة أن لن نشعر بشئ. وكان المعذّبون مشدوهين من

الهدوء الذي ظهر على وجهي. وصارت أجوبتي واضحة وبائنة. إنّني مؤمن. آمن بالله، وليس في الظواهر الخارقة للعادة، وأعتقد أن أهل العلم من حقّهم أن يحلّلوا هذا النوع من الظاهرة.

ومنذ اليوم السادس كنت لا أخشى التعذيب اليوميّ لأن الإله قد منحني وسيلة الكفاح ضد التعذيب.

وفي اليوم السابع أتى المعذّبون يبحثون عنّي بنفس الطريقة من أجل إستنطاق في قاعة جديدة، ووجدت هناك الشرطيّين الذين ألقوا القبض عليّ، وقالوا لي إن الحصّة سوف تكون آخر حصّة التعذيب إذا رضيت بأن أدلّهم على مسكن بن خدّة. وكانت إجابتي دوما سلبيّة. وقد أثبتوا بعض الإجابات التي سردتها لهم أثناء الإستنطاق الأوّل ثمّ طلبوا منّي وصف ما على رأس بن خدّة الذي كان يغيّر لباس رأسه ليسلم من أبحاث الشرطة، وذلك في كلّ شهر. وأحيانا يجعل على رأسه قبّعة (بيري)، ومرّات أخرى خوذة صغيرة أو بورنيطة خفيفة. وكثيرا من الأحيان يترك شعر شاربه الأعلى ينبت. وكانت للشرطة معلومات خاصّة بالفترة أينيلبس فيها (البيري) أو الخوذة الصغيرة، ولهذا السبب طلبوا مني هذه المعلومة. وفي هذه الفترة من نهاية شهر ديسمبر 1956 قدّموا لي كبيرا من الصور. وإخترت دون تردّد صورة، فالنقيب ردّ الفعل حينا بكيفيّة الرياضيّين قائلا : " إنّك ربحت " وفي الغد قدّمت أمام النيابة في نفس الوقت كبوعياد، وآيت بلقاسم بعدما قاموا بحلاقتنا، ومنحنا مظهرا أكثر إنسانية.

وفي السيّارة التي تنقلنا نحو قاضي التحقيق، أستطيع أن أقول بأني كنت فخورا بنفسي، فرغم عمليات التعذيب قد تمكنت أن أقابل الشرط بصرامة بحيث لم أسلّم أي إسم مناضل. إن المتهمين معي، ومناضلون آخرون قد طلبوا منّي لماذا سلّمت إسم بن خدّة، فإنّي أعتبر

بكونه معروفا، ومطلوبا من كلّ شرطات فرنسا، والجزائر فقضية زائدة في حسابه لم يكن لها مطلقا أي أهمية. وبخلاف ذلك التنديد بمناضل لا يزال مجهولا من طرف الشرطة مثل تمّام على سبيل المثال، سوف يكون حتما أكثر ضررا لجبهة التحرير الوطني. وتوّا بعد الإستماع من طرف القاضي فإنّنا سجنا بسجن بابا عروج أين مررنا من خلال مصالح مختلفة : قبل كلّ شئ عند مكتب كاتب المحكمة من أجلا إستعلامات إضافيّة، ثم مقياس القامة، وعند الحلاّق. ومع إعجابنا الكبير فقد تركوا لنا ملابسنا المدنيّة. وحصرونا في قاعة الإنتظار التي كان مسؤولا عليها مسجون من الحقوق العامة، والذي يلقّب (بادي شانس = عديم الحظ). وكان عمره من 55 إلى 60 عاما، ويكسب قائمة الجوائز الممتازة، فإنّه حكم عليه قرابة عشرين مرات، ومجموع العقوبات تصل إلى ما يقارب (40) سنة من السجن. وكن عارفا ممتازا بعلم النفس، وعند يومنا الثالث من إعتقالنا وفي وقت العصر أتوا بمناضل شابّ إسمه بوطريق، له من العمر (19) سنوات، والذي رمى قنبلة يدويّة في مقهى شارع (طانجي). ولمّا قبضوا عليه في حالة التلبّس بالجريمة كان من المفروض أن يتقدّم في اليوم التالي أمام محكمة عسكريّة. وبقي (عديم الحظ) قرب المناضل الشاب الذي يتوقّع الحكم عليه، فشجّعه (عديم الحظ)، وقصّ عليه حكايات، وحضّره لما ينتظره. وإستطاع بوطريق أن ينام ولم يستيقظ إلاّ ليذهب إلى المحكمة. ولم نراه مجدّدا أبدا. وقد قتل بعد بعض الوقت، في نفس الوقت الذي قتل فيه (إيفتون) الفرنسي، وعضو الحزب الشيوعي، والذي وضع قنبلة بمصلحة الكهرباء والغاز، والتي لم تنفجر.

وكانت الإنشغالات متنوّعة في هذه القاعة الواسعة، حتى أني رأيت مسجونين بصفة الحقوق العامّة، يعملان مسابقة بين قملتين : إحداهما مربوطة بخيط أبيض، والأخرى بخيط أسود. وصاحب الفائزة في

السباق يربح سيغارة، وفيما بعد بثلاثة أيام، فإنّ الحارس — القائد أمر بقطع الشعور حيث عرفنا كجزائريّين، وقد تبدّل مظهري بالكامل وكذلك بوعياد. ثمّ عيّنا إلى القاعة (5) اين إلتقيت ب : ربّاح، وف.بلامان، وأ.موساوي. وع.معروف من جملة آخرين. ويتعجّل في هذه القاعة المكتظّة (120) شخصا، مع أنّه من المفروض لا تسع القاعة مبدئيا إلاّ (70) سجينا. وكانت القاعة (5) مترا عرضا، وبها على كلّ طول الجدران نوافذ كبيرة مجهّزة بأسلاك الحديد، وتطلّ على نهج النصر (باب الوادي). والباب بمصراعين يغلق بمفتاح (15) سنتمترا. وعند المدخل مباشرة كانت سندرات مرتّبة لها مقياس (9) مترا على مترتين وخمسين. والأشخاص الذين يكونون في أحسن موضع هم الذين تسلّموا مكانا تحت السندرة لأنهم لا يغيّرون مكانهم كلّ يوم. ورغم كلّ شئ فالسجناء لم يتحصلوا إلاّ على ثلاثة أفرشة بخمسة سجناء.

وكان يكفي أن يكون أحدهما سمينا بقدر قليل لينام رفقاؤه في مواقف متصلّبة، وينام الآخرون على الأرضيّة، وأفخاضهم منثنيّة. وإذا أحد ينهض ليلا لسبب أو لآخر فإنّه يمشي أكثر الأحيان على شكل نائم. وعند النهوض من النوم يستوجب علينا أن نقوم بصف طويل أمام مراحيض التنظيف أو أمام الحنفيات من أجل الوضوء. ولا نستطيع تصوّر ما هي الأمور التافهة التي تستعمل كحجّة للمشادات في هذه القاعة المكتظة، وأي موضوع كانت سببا للخلاف.

وكنت أنام وعلى يميني بوعياد الذي كلّ أمسية يذهب لصيد القمل، وعلى يساري الفدائي رشيد الذي ألقي عليه القبض بسبب وضعه لقنبلة تحت الجرائد، في دكان بسوق باب الوادي قرب موقف حافلة.

ولقد وجدت في هذه القاعة الأخوين بوشوشي، أحدهما متّهم بالإرهاب، والثاني، تاجر بالجملة، متّهم بنقل الأسلحة، وهو الذي قام بنقل أسلحة من فرنسا إلى مدينة الجزائر في صناديق مواد مترليّة. وعذّب عذابا إلى الحد الذي صرّح بكلّ ما أرادت الشرطة أن تحمّله به قولا. وبصفة إنسانية لا تمكن المقاومة تحت منذ هذه الممارسة الوحشيّة. ولمدّة شهر إلتزم لا فحسب بالمقاومة أمام التعذيب ولكن أيضا ببقاء الخيط الحديدي الذي يربط الكعبين والرسغين.

وبعدما رأيت بنفسي نتيجة هذه الأفعال التي تنتمي إلى الصاديّة، فلم أستطع أن أفوه قطّ بعمليات التعذيب التي تعرّضت لها حيث تألّمت ولكن على كلّ حال لم أحتفظ بأي أثر على الجسم.

وفي بداية شهر مارس 1957، قد إستمع إلينا قاضي التحقيق بتيزي-وزّو، وهو يتحدّث جيّدا بالعربية والأمازيغية. وكان مرفوقا بكاتب، السيد (فراوسان) الذي أعرفه جيّدا حيث يسكن بالأبيار، وبالنسبة للسؤال الخاصّ بمعرفة سبب عملي لصالح جبهة التحرير الوطني فإنّي صرّحت بأني خشيت على حياتي. ومن قبل ببعض الوقت فد أتى إليّ " إرهابيّون " من الحركة الوطنيّة الجزائريّة يهدّدوني بالموت إذا لم أستقيل من إدارتي. وقد أضفت هذا التهديد في آخر الوقت، ولم أصرّح به أثناء الإستنطاق الأول، وأثبت ذلك القاضي من طرف زوجتي، وبيتي. وإرتابني الحياء بسبب الحديث عن هذا الحادث غير أن أصدقائي بالقاعة نصحوني بذكره. وفي الواقع " فالإرهابيون " هم الأشخاص الذي هدّدوني كانوا مناضلين مصاليّين. وإلى غاية 1956، لا يستطيع أحد أن يعيّن بثبوت من قام بكلّ إعتداء، فالمصاليّون وأيضا على حد سواء أنصار الجبهة يقومون بأعمال في مدينة الجزائر، والطرفان يطالبان الكفاح المقدّس ضد الإستعمار.

ولقد وزّع المصاليّون الشعار الذي يمنع أي جزائري من العمل في الإدارة الفرنسيّة وكانوا يقومون في نفس الوقت بحملة تموّين ضد الجبهة متّهمين إياها بتمثيل عامل من عملاء مصر.

وأثناء كلّ مدّة إعتقالي وقعت عمليات قتل المناضلين، وذلك كلّ يومين وثلاثة أيام.

ولقد خضعونا إلى إستنطاق ثان بقصر العدالة، وفي ذلك اليوم بالذات لمّا نظرت من نافذة صغيرة (قمريّة) التي تطلّ على محلات جريدة (ليكو دالجي) علمت بأن بن مهيدي " إنتخر ". وكنت مكلّفا بمهمة إخبار رفقائي بسجن بابا عروج عن النبإ المؤلم.

وكان لي كمدافع المحامي (يوبي) وكذلك المحامي (قاردال) الذي وظّفه لي صديق كان كاتبا عنده. وكان للمحامي (يوبي) زبون آخر، وهو مفدي زكريا، الشئ الذي سمح لي بملاقاته في مكتب المحامين.

وفي إنتظار يوم الحضور أمام المحكمة العسكريّة فالأيام تمضي متابعة ومتشابهة بالسجن، الليل ضمن الإختلاط، والنهوض من النوم ضمن التدافع. إن الأيام لم يفضلها إلاّ وصول سجناء جدد.

وبعد شهرين تقريبا من إعتقالي نادوني في مكبّر الصوت إلى بهو اللقاء. ورأيت متعجّبا المفتّش المركزيّ للضرائب المباشر، السيد (بارياس). وبعد محادثة طويلة فإنّه تحيّر عن إحتياجاتي، وإمكانيات المساعي التي يستطيع أن يقوم بها لشخصي، ولأهلي، وقبل مغادرتي صرّح لي أنّه ذاهب مباشرة إلى السيد (مارتين) ليطلب منه أن يشهد لصالحي، فطلبت منه أن لا يفعل شيئا لأني أعرفه فسيرهقني بقول الحقيقة إلى الشرطة. وبعد بعض أيّام لاحقة عاد السيد (بارباس) ناقلا لي كتبا وقال لي " الحقّ معك فإنّ (مارتين) لا يتوب عن سيرته بفعل أمانته ".

وفي 15 جوان 1957 تسلّمت إستدعاء للحضور في آخر الشهر، وفي 29 جوان قدّمونا أمام القضاة على الساعة الثالثة بعد الزوال، وكان يترأس الجلسة عميد ذو ملامح أبويّة. وعلمت متعجّبا أثناء المناقشات بأن بوعياد كان فرنسيا مضادا أمّا آيت بلقاسم، وأنا بالذات كنّا مواطنين طيّبين.

وطلب مني كاتب المحكمة هل أفهم الفرنسية وترجم لي التهمة: كنّا متّهمين "بمعية أولاد الحرام" (مجرمين). ثمّ كانت مرافعة المحامي النقيب (مورينو) لصالح بوعياد، فوصفنا كموظّفين جيّدين دون إنتساب سياسيّ، ومهدّدين من طرف جبهة التحرير الوطني. والخوف وحده دفعنا لإرتكاب مثل هذه الجريمة ضد فرنسا فطلب الحلم. ولم يقم حقيقة المحاميان (قودال، وبوبي) بالمرافعة لقضيتنا، فالمحكمة عادت بعد ربع ساعة من المشاورات وصرّحت إعفائنا.

وعند عودتنا إلى سجن "بابا عروج" كانت حيرتنا كبيرة حيث تأخذ إدارة دار العمالة قرارا بإعتقالنا في مخيّم. ولحسن الحظ إلتحقنا بمنزلنا والفرحة الكبيرة تنتاب أهلنا.

ويوم غد تسريحنا لاحظت صعوبة في المشي، وكانت ركبتي متصلبتين، وذلك من عواقب عدم الحركة الطويل، إذ أثناء خمسة شهور لم تكن لدينا إلاّ ساعة نزهة السير يوميّا وكنّا نبقى باقي الوقت ممتدّين أو جالسين.

وفي نهاية سنة 1956، فإنّ الإعتداء الذي نتج عنه موت رئيس بلديّة بوفريك، -(أميدي فروجر)- قد أثار مظاهرات كبيرة من طرف الأقدام السوداء. وفي يوم الجنازة، هجّم أورمى الوروبيّون من نهج (كارنو)، ونهج (الجمهورية) كلّ الجزائريّن وجدوهم في طريقهم.

ونقلوا لي بأنّ في ذلك اليوم بالذات كان السيد (مارتين) راجعا إلى مكتبه ولمّا رأى هذا السطو فإنّه بادر بالجري في كلّ الإتجاهات طالبا الجزائريّين أن لا يمكثوا في طريق مرور المتظاهرين.

وحين إطلاق سراحي ذهبت أزور زملائي القدماء، والمفتّش، وكلّهم لم يردوا عليهم التحية باليد إلا ما يقتضيه الأدب الخالص. وأمّا المراقب جندر كان يفرّ مني هو أيضا، ولم ألتق به أبدا. وقد وافاه الأجل سنة 1962 بعد بعض الوقت من تسريحي.

وفي شهر جويلية، وأوت 1957 أخبرني سيد عليّ فروخي، خادم الإتصال لياسف سعدي، بحاجيات مقاطعة المستقلة ذاتيّا إلى المال لمواصلة الكفاح. وحين تسلّمت الخطاب سلّمت لياسف بعض الملايين بواسطة دحيمان حيث سارت السلسلة إلى غاية إعتقال ياسف.

ولمّا لم استطع أن أدمج سريعا بعملي حيث كنت تحت فعل إجراء التوقيف، فإنّني رضيت بمنصب عند محام قديم ينتسب أصلا إلى دلس، وهو السيّد طالبي، الذي كان مشلول الفخذين فكان بحاجة في كلّ وقت إلى مساعد للتنقّل. وأثناء الشهور الثلاثة التي قضيتها عند المحامي لاحظت عدم الإستقامة من بعض المدافعين، ونقص الجديّة، والكذب، عدم إحترام الكلمة، أي كلّ ما كن يناقض مبادئ.

وفي سبتمبر، ألقي القبض على ياسف فتسلّمت إستدعاء من الجيش بشارع المعتمديّة (أنتنداس) : ولبّى المحامي طالبي الإستدعاء، وأخبرني بأنّه سوّى هذه المشكلة الصغيرة دون أن يعطيني تفاصيل أكثر.

وفي أكتوبر تردّد الجيش إلى منزلي، وعلى الساعة منتصف النهار وجدت جارا، سي تماني، عامل طكسي كحرفته، الذي ينتظرني عند زاوية شارع صغير ليندرني، فرجعت عن أعقابي حينا لألتجأ عند صديقي حريزي ليس بعيدا من هناك.

وبعد ثلاثة أيّام من الإنتظار، ناداني المحامي طالبي لطمأنتي، و لم يكن هنا شئ أخشاه، ومن اللازم أن أتقدّم أمام العسكريّين. وفي نفس اليوم ذهبت، وبدون إستنطاق أغلق عليّ إلى غاية المساء في غرفة، وقد أتى إليّ جنديان من السوقة العسكريّة يطلبان مني هل أكلت فأجبت بلا ولكن لست بجائع. وذهب أحدهما يشتري لي لمجة أكل بماله الخاصّ ومنحني إياه. فكنت متأثّرا جدّا بطيبة أنفسهم. وقليلا فيما بعد جاء نقيب يطلبني، ورافقني إلى غاية شارع (بوتين) الكائن في القصبة السفلى قبالة جامع كتشاوة أين نادي طكسي. وقال لي : " أنت حرّ ".

وبعد بعض أيم لاحقة جاء مناضل ليراني عند المحامي طالبي، وطلب مني إذا أردت الإلتحاق بالقطر التونسي أو المغرب الأقصى فرفضت. وقال لي إنّه بإمكانه أن ينظّم ذهابا إذا سوف أغيّر رأي.

ولقد ألقي عليّ القبض مجدّدا في نوفمبر من طرف العسكريّين الذين قادوني مباشرة إلى " كورنيش " بحي رائس حميدو (هو محلّ النزهة الذي تحوّل إلى مركز التعذيب بعد إعتداء). وإلتقيت هناك بمناضلين عديدين معروفين مثل عبد الرحمان بن حميدة، نائب ياسف، وفي اليوم الثالث من الإعتقال أتى شرطي بلباس مدني ليستنطقني وعرفته حيث كان لاعب كرة السلّة بجمعية الشرطة الرياضيّة، فاسرع بتحيّتي وهو يشدّ اليد، وبإطلاعي على مواضيع التهم، المسجّلة ضدّي فأجبته بأنّ كلّ هذا كان إلاّ خزعبلات. وأخبرني بأنّ إسمي يوجد في وثيقة ياسف سعدي، أي جريدة أين سجّل عنواني، والمبالغ التي سلّمتها له بصفة عاديّة. وفي وثيقة أخرى يذكر بأنّ دحيمان، وبن مرابط، وتركمان كانوا وكلاء لمبلغ معيّن من المال وقطع الذهب.

ورغم إنكاري فإنه نصحني بأن أعترف لأنّ الحجج كانت دامغة فكان يحرص على أن لا يعذّبني ولكن سوف أتعرّض لعدم الأكل

والسريّة. فحياتي بضمّ اليد متمنيا لي شجاعة جيّدة. إن هذا الإنتباه أثّر في نفسي، وبدأت أفكر بأن الصداقة بين الرياضيّين ليست بالشئ التافه.

وكنت أتأمّل قي (سيناريو) ممكن غير أن مهما كان الترتيب للوقائع فإنه غير مكتمل إذا لم أندّد في نفس الوقت بالشخص، القائم بالإتصال، الذي تمّ إعتقاله مسبّقا وإستخلصت إلى نتيجة بأنّني لا أقدر على الكلام.

إنّ الصايم الذي فرض عليّ لم يحرجني لأنّ المسجونين الآخرين الذين يتحرّكون قليلا أكثر حرية منا يبعثون لي التسلّل الغذاء من أعلى الباب أو من مكان قياسة 4 إلى 5 سنتمتر بمثابة إتساع كائن بين سطح الأرض وباب الزنزانة. ورغم صفة السرية سمحوا لي بالخروج بين الساعة الواحدة والساعة الثانية زوالا إلى فضاء الذي يشغله قبلي الزوجان لاليام المحبوسان هما أيضا.

وبعد أسبوع من الإعتقال، في ذات يوم كنت راجعا فيه من نزهة السير سمعت صياحا آت من زنزانات المحيطة بالممرّ، إنّه صياح أصل (مقعّر) وهو يناديني بإسمي " سي عبدون إن سيد عليّ قد توفي. الله يرحمه " ولم أستطيع قطّ معرفة صاحب هذا الصوت.

وعند وصولي إلى زنزانتي، كنت أفكّر ثانية ودوما إلى هذا المثل الذي يقول أن شرّ البعض يسعى في خير آخرين. وأثناء (24) ساعة حضّرت (السيناريو) كإيجابة، والذي تنتظره منّي الشرطة. وحين كانت هذه الأخيرة عن علم جاء الشرطي الرياضي ليأخذ تصريحي هكذا : في ماي 1956، أتى حمادة يطلب منّي تحت التهديد أن أدلّه على أشخاص يستطيعون الحفاظ على خزانة مال الحرب لجبهة التحرير الوطني،

والذي مبلغه كان (60) مليونا من الفرنكات، فإتّصلت بتركمان، وبن مرابط ودحيمان الذين هم كذلك خضعوا للتهديد. وعند خروجي من السجن بعث لي ياسف رسالة عاجلة بواسطة سيد عليّ فروخي لإسترجاع مبلغا كان يحتاجه، وعليه كان حينئذ فروخي هو القائم بالإتصال.

وبقي الشرطيّ شاكّا في دور فروخي فطلبت منه إذا كان هذا الأخير معتقلا أن تكون مقابلة بيننا. إنّ هذا (السيناريو) قد سمح لي إلاّ بذكر مناضلين ماتوا مسبّقا فحمادة قد أغتيل من طرف مفرزة (كومندو) الحركة الوطنية الجزائريّة، وفروخي توفي حديثا تحت التعذيب. وبعد إعترافاتي بمحض إرادتي، وبدون شكّ هي محتملة فالشرطي إحترم كلمته ورفع عليّ أمر جعل حالة الصيام. ومن اللازم التوضيح بأنّه لم يكن أبدا غليظ الطبع معي ولا عنيفا. والشئ الذي تبقى من خزينة المال قد إسترجعته الشرطة من عند بن مرابط، وتركمان.

وتحقيق القضية قد تمّ في 24 ديسمبر 1957، وحوّلت إلى القضاء في نفس الوقت مع الآنسات : خلوي بايا، وكيوان فاطمة، وتركمان. ولم أكن أعرف الإرتباط بين مختلف الشؤون التي جلها كنا معا أمام القضاء، ولا ما هو النشاط السياسي الذي قامت به هاتان المناضلتان. وكنت أعرف إحداهنّ، فخلوي بايا كان أبوها صديقي من دلس، وهو خلوي عمر، لاعب كبير في كرة القدم بالمولودية.

العودة إلى سجن بابا عروج

في هذا السجن كانت الوضعية بصفة معيّنة كما تركتها في جوان 1957، ولازال معروف عبد القادر، ومصطفى فخارجي هنا، ووجدت أيضا هناك عبد المالك تمّام. وكان مسؤول القاعة ملاكم، هو ظريف للغاية، كما هو دائما مستعدّ لتقديم الخدمة.

وقد جرى تحقيق القضية بسرعة، وفي 18 فيفري 1958 تمّ مثالنا أمام المحكمة العسكريّة، وعلى رأس قائمة المتّهمين كان بن حميدة، وإستنطاقه لوحده دام يومين فإعترف بإنتسابه لجبهة التحرير الوطني كما قام بتصريح يرفض من خلاله أن يعترف للعدالة الفرنسيّة بحقّ المحاكمة. وقد أجابه رئيس المحكمة، العميد الذي سبق أن مثلتا أمامه، بصفة ذكيّة قائلا : " إلى حدّ الآن فإن القطر الجزائري قطر فرنسيّ أين العدالة الفرنسية، كانت ممثلة، ولمّا تستقلّ الجزائر مستقبلا فهو سوف لا يشغل هذا المكان ".

ودافع المناضلون نفس الأطروحة أمّا تركمان وأنا بالذات رافعنا تحت تهديد جبهة التحرير الوطني، فالرئيس، رجل مستقيم الخلق، صاحب عطف بالغ قال لي : " هالك ستّة أشهر، وقد برّئتك، وتسقط من جديد في فخّ الجبهة ".

وبعد أربع ساعات من الإستشارة أعلنت المحكمة أنّنا كلّنا مذنبون. وحكم على بن حميدة بالسجن المؤبّد، وكلّ واحد منّا بخمس سنوات

إعتقالا. وكنت لا أتوقف في التفكير على عائلتي وأنا سائر للإلتحاق بسجن بابا عروج مساءا. ماذا سوف تصير ؟

وفيما بعد ببعض الأيام جاء مدافعي المحامي (يوبي) ليراني للمرة الأخيرة، حيث كان حتما إغتياله من طرف المتطرّفين، وذلك وقع قليلا قبل نهاية الحرب. إنّه ظهر متوتر الأعصاب. ولمّا طلبت منه سبب إنشغالاته فإنّه عرضها عليّ. وقد حضر في نفس الصباح قتل لوني أرزقي. وعندما ذهب المراقبون يبحثون عنه ليقودونه إلى المقصلة واجههم لوني بعنف. وكان من اللازم إحضار المدد للسيطرة عليه. وأمام المقصلة طلب وقتا ليصلي ثمّ قام بالتصريح التالي : " سادتي، أريد أن تعلموا، إذا قمت بعراك في وقت مضى معكم فليس ذلك خوفا من إيه، حسنا، لا، فإني عاركت لأني لمّا إنخرطت في جبهة التحرير الوطنية، أديت اليمين بأن أقوم بالعراك إلى الموت. إنّ الأمر قد تحقّق فذهب من تلقاء نفسه ليجعل رأسه تحت شفرة المقصلة. ولقد صرّح قاض حضر الإقتال بما يلي : "هذا رجل يستحقّ الإحترام الأكبر".

وبعد أن غادرت المحامي (بوبي) الذي رأيته برفقة تركمان عدت إلى قاعدتي وكلّ السجناء أرسلوا إلى حمام المرشّ وعند الحلاق. ولمّا مررت قرب الحمامات، قد سمع الحارس – الرئيسي النشيد الوطني من طرف السجناء فقرّر مقابلتهم وتموقع حارسان عند المخرج وسجّلوا أسماء قرابة المئة من المحبوسين. وجعلوا تركمان، وأنا في ركن وكانت العقوبة شديدة للغاية : المنع من حانوت المطعم، ومن الزيارة لمدة شهر، والكلّ يخضعون لحلق الرأس. وبالنسبة لعدد (120) سجينا من القاعة (9) سلم (25 إلى 30) فقط من العقاب.

إنّ التسجيلات لحانون المطعم كانت تقع مرّة في الأسبوع، وفي ذلك اليوم بالذات كان بأيدي (17 و8) سجناء مال للشراء مواد من هذا الحانوت، وقد قررنا شراء أقصى الأشياء لإرضاء أكبر عدد من السجناء.

ومنذ الأسبوع الثاني من العقاب، أكبر السجناء سنّا، "علم الحظ"، تردّد على القاعات الأخرى وأخبرها بوضعيتنا. ويوم الغد من توزيع المطعم الصغير، رأيته يصل إلينا مرفوقا بسجين يحمل فراشا. ولمّا إعتقدت وصول سجين جديد نبّهته بأنّ القاعة كانت مكتظة مسبّقا، فإنّه دفعني وقال بصوته الأجشّ (غير واضح) بأنّه مأمور ليضعه هنا. وحين إلتفت المراقب ببصره إلى جهة أخرى، رمى "علم الحظ" الفراش، وطلب مني تقسيم الغذاء المحمّل على السجناء الذين تعرّضوا للعقاب. وعند خروجه أشار عليّ بغمزة عينه، وقام بن حميدة الذي كان المسؤول الرئيسي للقاعة، بالتوزيع،وكان اليوم الأول لرمضان 1958.

وكان للمسجونين حقّ إستلام طرود من عائلتهم، وفي ذلك اليوم لم يتسلّم قفّة المأكولات إلاّ قرابة ثلاثين من السجناء مقابل (120)، وقبل الإفطار بنصف ساعة سلّم لي بن حميدة الذي كان يقوم بالنداء، قفّة لم تكن مرسلة إليّ. إنّه قرّر بإجراء التوزيع دون إعتبار المراسل إليه صاحب القفّة، فقلت له بأنني لا أتقبّل هذا المبدأ حيث زوجتي التي تتخبّط في مشاكل ماليّة قد حضّرت لي بدون شكّ أطعمة حسب ذوقي الذي لعلّ سوف لا يستحسنه غيري. إنّ قفتي من اللازم تعود إلي حتى ولو أتقاسمها مع كثير من السجناء عند الضرورة. وقد وافق الآخرون وإستسلم بن حميدة، وقال لي فيما بعد بأنّ هذا النوع من التقسيم كان مبدءا من مبادئ الإشتراكية.

وأثناء رمضان كنّا في كل أمسيّة نقوم بصلوات التراويح، وكان تركمان يدعو الله أن لا يتم تحويلنا قبل نهاية رمضان، ومع ذلك كنت أثناء إعتقالي الأول قد إمتنعت عن تأدية الصلاوات اليوميّة، والآن فإنّني أؤديها بوعيّ، ولهذا بدون شكّ تقبل الله تعالى دعاءنا حيث قرّر تحويلنا إلاّ في يومين قبل العيد. وبارحة ذهابنا إلى شلف كلّ الذين

كانوا مطلوبين بالتحويل تمّ جمعهم في قاعة مشتركة، ولكن ألغيت القفة العائليّة. ولحسن الحظ كان دوما هناك '' عديم الحظ ''، فرأيته يمرّ من شرفات القاعات ليطلب من كلّ واحد فلوسه. وسلّم كلّ واحد منّا إناءه وإستطعنا بصعوبة تمريره من بين الشبابيك إلاّ أنه تمكنا في المساء أن نتغذى، وقد أدخل الفرح حادث مضحك على أمسيتنا، وفي إحدى الإناءات التي سلّمتها إلى '' عديم الحظ '' لازال موجوا بعض (المقروط، وقلب اللوز) فقد ملأه المتبرعون الكرماء بالحساء.

وعند إنتهاء الصيام، وبعد تناول بعض المغارف لاحظنا بأنّ للشّربة ذوق السكر ثمّ لمّا مستوى الحساء ينقص في الإناء رأينا أنّ قعره مغطّي بالحلويات فضحكنا بصفة جيّدة.

ومن ضمن رفقائي في الطعام كان : تمّام، وشرقي، وتركمان، وعرابديو، وهو مناضل من بوفاريك الذي قد خرج حديثا عن شهر في الزنزانة وكان جائعا ومريضا. إنّه عوقب بسبب أنّه إحتفظ بشفرات الملحق.

وفي تلك الأمسيّة لم أتوصّل أن أنام، غير أني كنت مغتبطا بمغادرة سجن بابا عروج، الذي إكتظاظه كان ثقيلا عليّ.

السجن المركزي بشلف

وعلى الساعة الخامسة صباحا تمّ النداء في الساحة أين ربطونا في أفواج من (5) لكلّ فوج. وكان رفقائي : تركمان، وعرابديو، وشرقي، وتمّام. والأحسن حالاهم الذين لازالوا موجودين في أقصى السلسلة لأنّهم يحتفظون بذراع واحد حرّ. وعلى الساعة السابعة صباحا وضعتنا حافلات الجيش بمحطة القطار لمدينة الجزائر أين مجموعة من النّاس، بالأخص الأوروبيّين يتباطأون في سيرهم لينظروا مرور المسجونين بالأشغال الشاقّة، ولكن دون بغض خصوصيّ. ومرة كنّا في العربات أصيب المؤسف له (عرابديو) الذي البارحة أكل كثيرا، بالغيّ والإسهال (وقد توفى فيما بعد عند خروجه من السجن). وكنّا مضطرين في كل مرّة مرافقته إلى المرحاض لأنّه كان ممنوعا تسريح عضو من السلسلة مهما كان السبب. وتكرّرت المحنة خمس أو ستّ مرّات أثناء الساعات التسعة التي دام فيها السفر.

وكان في إنتظارنا شاحنات عسكريّة لنقلنا إلى السجن المدنيّ أين أستقبلنا بالكلمات القبيحة من طرف المراقبين، والقادة ولكن دون خشونة. وقد تعرّض شرقي براهيم إلى عقوبة شهر بالزنزانة من طرف المدير، وذلك لأنّه أجاب على السبّات. إن شرقي كان عضو قديم في حزب الشعب الجزائري وحركة إنتصار الحريات الجهوية. وقبل أول نوفمبر كان يسيح عبر القطر الجزائري. وكنت أسمع عنه، ولكن رأيته لأوّل مرّة بسجن بابا عروج. إنّه مناضل ممتاز غير أنه لسوء الحظ عصبي جدّا.

وأثناء نصيب من النهار إستوجب علينا الجواب لأسئلة الإدارة، وهناك قد رأيت من بعيد الثائر بالجبال لسنة 1945، لسعيد مازوزي، وبعد أخذ المعلومات الإضافية، قادنا الحرّاس نحو زنزانتنا. وكانت الساعة تسير إلى الثّامنة ليلا بالتقريب، وكان رفيقي دائما حسين تركمان. إنّ زنزانتنا تحتوي على فراشين، وطعامنا يتركب من حساء الفول، والخراشيف، والبطاطا المجمّدة، وكنّا مستمرين على الصيام بدون شكّ في هذا المساء لولا قطعة صغيرة من الشكولاطة، التي إحتفظت بها بدقّة ولما كنت منهوكا من طول هذا السفر نمت نوما دون إنقطاع إلى غاية الصباح على الساعة الثامنة. وكان اليوم يوم عيد الفطر.

وبعد يومين فيما بعد كلّ الموكب الذي أتى من مدينة الجزائر حوّل مجدّدا نحو السجن المركزي المبني منذ قليل. وكان يتركّب من خمسة سقائف بقياس (60) مترا طولا على (25) عرضا، و(10) مترات علوّا. ويحيط به سور يعلوه نوع من سورواق يقوم مراقبون مسلّحون بحركات الطواف كلّ الليل. وخلافا لسجن بابا عروج هنا الفضاء لا يسبب مشكلة قط. وكنّا (3000) في كلّ سقيفة. ولكن كل سجين كان له فضاء صغير نظيف، وفراش، وخصوصا غطاء ممّا يستحسن أثناء فصل الشتاء القارص بشلف.

وهذا الفضاء سمح لنا بتكوين أفوج عمل، ومحو الأمية بالعربية والفرنسيّة، ويدرس التدريب على الأنجليزية، الذي يسيّره يهودي مناضل في جبهة التحرير الوطني. ولسوء الحظ فهذه الأفواج لم تستطيع أن تقوم بإرتقاء كبير بسبب الإدارة للسجون، التي في كل شهر أو شهرين، تنوّع تعيين السجناء بين مختلف السقائف، وهكذا فهي تعارض كل تواصل في العمل.

وكان فوجي يتسلّم تكوينا في السياسة المالية للبلدان المستقلّة مع درس اللغة العربية من المستوى المتوسط. وكوّنا ناديا في السقيفة، الذي يعدّ مشروع الدستور. وكثيرون من شخصيات الذين برزوا فيما بعد كانوا ضمنه أمثال عبد الرحمان بعزيزي، الوالي المقبل لقالمة، وتمّام عبد المالك، ونبي محمّد وهم يصيرون وزراء في المستقبل. والأعضاء الآخرون هم : براهيم شرقي، وحيدة، وحسين تركمان، وهو تاجر صناعي معرّب، ومناضلون من القطاع الوهراني.

وجملة القوانين العامة التي نالت المناقشة الأولى قانون المرأة، وعلى وجه الخصوص تعدد الزوجات، وتمدرس البنات، والعمل. ودامت المحادثة أياما كثيرة لأنّ كثيرا من المناضلين المتدينين يضادّون كلّ مساس بمسألة الوضعية النسويّة.وكانوا يرون التطبيق المشدّ للشريعة مع أننا ندافع مشروع مجتمع لائكي تقدّميّ وعصري. وكنّا نفكر لمّا كان حق تعدّد الزوجات مسجلا في القرآن العظيم فهو غير قابل للمساس فينبغي فقط وضع موانع يستحيل تجاوزها تماما لتثبيط من يمارسها، بحيث الطالب الراغب في التعدد يبرهن على مساكن حسب الزوجات، وعلى مدخول يضمنه البنك أو مصلحة الضرائب، أي بصفة تطبيقية بمد حول يكون أربع أو خمس مرات أعلى من مدخول جزائري متوسط. وكان المحافظون يرضون بتمدرس البنات شريطة إحترام الفصل بين الجنسين مع أن بالنسبة إلينا فالإختلاط لوحده من الطور الإبتدائي إلى الجامعة يسمح بتشييد مجتمع جديد.

وفيما يخصّ العمل النسوي، يريد أهل الدين أن يحصروا المرأة في الأعمال المخصّصة مثل معلّمة، وعاملة بمصلحة البريد، وممرّضة، وبالطبع دون إتصال مع هيئة عمال الرجال.

وكان البعض منّا يدافع عن فكرة الدولة للأئكيّة غير أنّ الأغلبية الكبيرة كانت تساند تسجيل الإسلام كدين الدولة في الدستور.

وحين علمت الإدارة بالمسألة فإنّها شتّت الفوج بتوزيع الأعضاء على مختلف القاعات، وفي حياة السجون لابد من الفرق الخاصّ بالعلاقات بين السجناء والإدارة وعلاقات ما بين المسجونين.

وفي الحبس فإنّ النظام كان أشد بكثير من السجن المركزي، حيث الإنتظام مطبّق حرفيّا، وكل نقص فيه يعاقب بالزنزانة.

إن سجل بابا عروج لم يكن معدّا لعدد كبير من السجناء سنوات 1956، 1957، و1958، وأثار مشكل الوسع كثيرا من التراعات بين السجناء، زيادة على المشاكل الموضوعيّة الخاصّة بالحنيفات، والمراحيض... الخ. وكان لنا الحق مبدئيّا في ساعة نزهة يوميّا غير أنّنا لا نخرج إلاّ مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع. وكنّا في باقي الوقت ممتدين أو راقدين، كما كانت النرفسة كبيرة جدّا، وكانت المشاجرات تنفجر أحيانا من أجل أشياء تافهة. وقد تخاصم سجينان، وهما في سن الخمسين على الأقل، ذات مساء لأن أحدهما لا يتحمّل فوق القدر حسّ فكّ الآخر أثناء الطعام، فكلّ هذه التراعات إختفت بالدار المركزي (السجن) أين الوسع الكافي يسمح لكلّ واحد أن ينعزل. إنّ النظام التأديبي بهذا السجن كان أقل شدّة، خصوصا بعد 1960، وذلك لمّا صارت القاعات مفتوحة، وصار السجناء أحرارا في الإتصال فيما بينهم.

وأسوأ ذكرى أحتفظ بها في السجن المركزي بشلف هو ذكرى التفتيش المنظم والمطبّق مرتين في الأسبوع، وأيضا ذكرى التحوّلات من قاعة إلى أخرى ممّا يفسد كلّ محاولات خاصّة بتكوين فوج متماسك. وزيادة على ذلك فإنّه لا توجد مصلحة التمريض، فكل مريض يتحتم عليه إنتظار عدّة أيام لعيادة الطبيب المخصّص للسجن الذي لا يستقبل إلاّ بمستشفى المدينة.

وفي كلّ مكان الإعتقال توجد لجنة السجناء التي تحاكم التراعات، فهذه اللجان تقوم بإتصالات مع الخارج من خلال محامين، وحرّاس سجن بابا عروج، والسجن المركزي.

إنّ حياتنا اليوميّة كانت مرتّبة من خلال مشاكل صغيرة مثل التبغ للمساكين الذين يتعاطون التدخين. وكان لنا الحقّ في محل بيع المواد شهريّا، أين كل شراء كان حرّا ماعدا شراء السجاير، الذي كان محدودا بأربع علب. وضمن فوجنا، كان تمّام وحده يتعاطى التدخين. إنّنا نشتري (32) علبة شهريّا ونسب منها (32) سجيرة لتوزع على سجناء لاحقّ لهم في الدكان.

وكان تمّام يتناول (9.6) سجيرات يوميا، وهو قابع على الأرض في ركن من قاعة الدّراسات واللعب يتعلّم اللغة الإنجليزية والماليّة. وكان حوله جماعة سجناء مكوّنة من (5 أو 6) أشخاص ينتظرون نصف ما تبقى من سيجارته ليتناوبوا عليها.

وفيما يخصّني فأملأ فراغ نهاري بدرس العربيّة إذا أمكن أوبلعب رقعة الشطرنج (داما)، وكان فصل الصيف لافح الحرارة. وكانت الأسقفية مغطاة بصفانح الزنك ممّا يصيّر الجوّ خانقا، كما كان الصيف حارّا أيضا في كل البلاد أين جرت معارك ضارية.

وفي 18 ديسمبر 1958، كنت منهمكا في لعب الشطرنج لما ناداني مراقب، وقد شكرني زملائي مسبّقا على إطلاق سراحي. وفي الواقع لم يكن هناك السبب، وقادوني إلى زنزانة الذين على وشك التحوّل فعلمت أنّني سأمتطي القطار يوم الغد بإتجاه الحراش، برفقة مراقبين، وفي ذلك اليوم وأثناء كلّ المسافة إلى غاية مدينة الجزائر، دارت محادثة تقريبا وديّة مع مراقبيّ حول موضوع كرة القدم.

ولقد وجدت مجدّدا بالحراش كثيرا من الأصدقاء، فالسجناء ظهر لي أنّهم مطّلعين أكثر على الوضعية السياسيّة والعسكريّة من سجناء شلف، حيث دي غول وصل حديثا إلى السلطة، ونتج عن إنتخابات المجلس على الأغلبية لحزب الإتحاد من أجل جمهورية جديدة التي سوف تحضّر دستورا جديدا.

ومضى تقريبا شهر رتيب جدّا، وذلك قبل أن يخبرني مراقب بأنّني سوف يقدموني يوم الغد أمام محكمة الإستئناف، وقد تمّ حضوري أمامها في 20 جانفي 1959، إثر شكوى مديريّة الضرائب بسبب إفشاء السرّ المهني. وعرفت رئيس المحكمة الذي لم يكن إلاّ صالح مهدي صديق المؤسف له عبد الله بن حبيلس، وحين رآني أصدر منع المحاكمة كخلاصة، حيث لا يمكن تقديم مسألة إلى العدالة مرتين، وعليه لقد قدموني للمحكمة العسكريّة لنفس السبب. وأرجعوني في نفس اليوم إلى الحراش لمواصلة قضاء عقوبتي.

من ثكنة (بيليسيّ) إلى البرواقية

وبعد بعض الأيّام من مرور أمام المحكمة، حضّرت حقيبتي، فقد حوّلوني نحو مقصد جديد من السكن العسكريّ الواقع في سرداب الثكنة (بليسيي) (وهي حاليا مقر المديرية العامة للأمن الوطني)قبالة ثانوية الأمير عبد القادر). وهنا كانت الزنزانات فرديّة ولكن لا تطل الشمس إلاّ بين (11) و (12) من منتصف النهار، وفي مساحة محدودة جدّا. وخلافا لذلك كانت المكتبة ثريّة كما كان الطعام أحسن بصفة جلية من كلّ الأطعمة بمحلات الإعتقالات التي عرفتها. وفي المكان المخصّص للإستقبال كنّا مرتاحين حيث تجري المحادثة مع العائلة لمدّة نصف ساعة بلا كلّ مراقبة. و لم يكن هناك أيضا إطفاء الأضواء. ولابدّ من التوضيح فإنّنا كنّا إلاّ (5 أو 6) سجناء المنسبين إلى جبهة التحرير الوطني، والباقي كان مكوّنا من قيّاد، وباشا آغوات، الذين مدّوا يد المساعدة للجبهة.

وكانت الظروف جيّدة بمكان –ما عدا حرمان الحرية – حيث كنت أتمنّى أن أبقى هنا أطول وقت ممكن، ولكلّ شئ نهاية، وللمرة الثالثة حوّلوني إلى سجن بابا عروج في القاعة الرابعة أين وجدت من جديد سجناء كانوا هناك منذ عامين. ومع إعجابي المفاجئ عيّنوني – دون أن أطلب ذلك – بالمصالح الإداريّة كمحاسب، وذلك بأمر سجين إسرائيلي المتمتع بالحقوق المشتركة، وهو مرافق ممتاز، ومحاسب جيّد على كل حال. وكان زملائي بالزنزانية : أشير محمّد، وهو أمين

مكتبة، وكزال عليّ الذي يعلن أنّه سجين سياسي وقد إستطاع تضليل كثير من السجناء وحتى الإدارة. والواقع كان كزال من أصحاب الحقوق العادية غير السياسيّة.

وفي اليوم العاشر من وصولي إستدعاني المدير ليعلن لي أن الشرطة كان على علم بنشاطي : العميد عميروش قد وضع عندي خزينة مئة مليون. وإذا رضيت بتسليم هذا المبلغ فإن الإدارة تتسامح بثلاث سنوات في صالحي، والتي بقيت أن أقضيها، فلم يسمع إنكاري، وأخبرني بأن الشرطة تبحث، وإلى أيّام قلائل ستسمع إليّ. وبالفعل بعد ثلاثة أيام قادوني إلى مكتب خصوصيّ يشغله شرطيّان، أحدهما كان حارس مرمى الإتحاد الرياضي الإسلامي الجزائري، فإنّه كلّمني عن الإتحاد وعن المولودية. ويبدو عليه أنه يندم على " إنتحار " حديد وش (إسمه الحقيقي بوزرينة). ولم أستطيع الإمتناع عن الإبتسام، وعن القول له بأنّه أدرك جيّدا القيام بإنتحاره. وبعد هذا التقدم الحرج سألني الشرطيّان من جديد على المال المخزون الشهير. وقد رجعنا مرّة ثانية برفقة إقتراحات أخرى : حين إطلاق سراحي سأدلّهما على عنوان المستخدم الذي يحتفظ بالمال، فكان جوابي دائما سلبيّا، الشئ الذي صيّر حارس المرمى، وهو إسرائيلي، غاضبا وهو يقول : " لو لم تكن هنا في السجن لإنتحرت كصديقك حديدوش ".

ولم أستطيع الرجوع في ذلك اليوم إلى عملي بمصلحة الحسابات حيث كنت منشغلا كثيرا بتهديد الشرطيّ، ولحسن الحظ ففي المسا نفسه سمح لي الإنتصار على كزال في لعب الطاولة، الذي دام إلى غاية السعة الواحدة ليلا على أن ننسى قليلا سآماتي. وبعد بعض الأيّام، رئيس المصلحة إكتشف بأن سجينتين، وأنا بالذات ليس لنا شئ نقوم به في هذا السجن، فسجن بابا عروج هو حبس، مكلّف حينئذ

بإستقبال المتّهمين فقط، أو الذين حكم عليهم بأقل من عام سجنا، فعيّنوني ضمن موكب موجّه إلى البرواقية في 31 جويلية 1959.

إن الموكب تكوّن كالسابق عند الذهاب إلى شلف، ولمّا كانت لي تجربة النظام فأخذت إحتياطي بصفة جيّدة بحيث تموقعت خارج السلسلة. وتوقّفنا على الساعة التاسعة صباحا بالبليدة في إنتظار قطار الجلفة الذي يضعنا أثناء الطريق بالبرواقية وذلك عند الساعة منتصف النهار. ودامت مسافة (90) كلمترا أربع ساعات، ثمّ شاحنات عسكريّة قادونا إلى السجن المركزي أين كان ينتظرنا زيادة عن المراقب الجالس وراء مكتب، حاجز من الحراس على قرابة ثلاثين مترا، وكان حول المراقب حارسان كمؤتّطرين.

ولقد إستوجب علينا أوّلا أن نتعرّض قبل الإجابة على أسئلة المراقب ثمّ بعد الإستنطاق كان هناك إجتياز " الحاجز الشرفي " تحت لكمات الأرجل، والأيدي من طرف الحرّاس، جرحت في نفس الوقت الذي جرح فيه كثير من سجناء آخرين، وكنّا نحمل كدمات (جروح) مدّة طويلة، وبالأخص بالنسبة للذين جرحوا بالفكّ. إنّ الحرّاس الجزائريين في هذا الحاجز الشرفي لم يكونوا أقل عطفا من زملائهم الأوربيّين.

وبعد إنتهاء طور الضرب، إلتحقنا بالقاعة المخصّصة لنا، وكنّا كلّنا نشتكي من الضرب الذي تهاطل علينا. وسلّموا لنا اللباس الأبيض المخصّص لأصحاب الأعمال الشاقّة، وكان هذا اللّباس في حالة رثّة، فسترتني كانت ضيّقة جدّا عليّ، كما كان سروالي ممزّقا على الأرداف.

وبعد فحص طبّي يوم الغد، فإنّهم عيّنوا لنا القاعات، وقد وجدت من جديد كثيرا من الأصدقاء في القاعة (15) التي يسيّرها درّيش إلياس. وهي قاعة مستطيلة ويوجد بها في العمق صفّ حنفيات،

والمراحيض المنوّعة، وصفان من (37) مضرّبة على الجانبين، فالذي وصل الأخير يجد نفسه قرب المراحيض. وبصفتي صاحب إنتظام فأضع حزمتي أمام المضرّبة الأخيرة ولكن عند المساء نسفه، يأتي طالب شابّ، مالك هشام، ويقترح عليّ تبادل مكاني حيث كان نحو وسط الصفّ. وقال لي فإنّه لا يتقبّل أن يكون مناضل كبير السن مقدرّا كمثل أي سجين.

وبعد بعض الأيّام إستدعتني الإدارة للعمل في مصلحة الحسابات فكلّ المحاسبين كانوا مسجونين سياسيّين، قد أتوا من نواح مختلفة. وأحدهم، بن يحي الملقّب زين-عبد اللطيف محمد، وهو مستشار سابقا ببلدية مدينة الجزائر، وهناك أيضا أوروبيان كانا مناضلين مستشارين تابعين لمصالي بتلمسان، شعيب تشوار من تلمسان، وعزوني من بلعباس. ولقد قمت بعلاقات طيّبة مع كل هؤلاء الناس، حتى مع المصاليّين الذين لا يقتربون منهم السجناء الآخرون.

وكثيرا من النزاعات تنفجر أحيانا من أجل أشياء تافهة بين سجناء الحركة الوطنيّة الجزائرية، وجبهة التحرير الوطني. والأمر الوحيد بكون المصلّيون لا يعترفون بسلطة الجبهة فإنّه يثير بصفة عادية المشادة. ومن جملة المحاسبين لاحظت المناضل المنتمي إلى الحركة، شعيب تشاور، وهو جدّ ذكيّ غير أنّه لا يتأثّر بإجراء النزاع. وبالنسبة إليه فكلّ الأعمال التي تسردها الصحافة هي من فعل الحركة.

إن الجبهة عندما تعطي ثروة للجرائد والإذاعات فإنّها تنجح في أن تتحصّل عليها لصالحها، وهكذا حتى رمز الشعار للحركة لا يبرز.

إن ظروف الحياة بالبرواقية كانت أقصى من ظروف السجن المركزي بشلف، فكنّا نذهب نأخذ طاس حسائنا صباحا ومساءا

بخطوات الرياضيّين، والمسكين الذي قلّب طاسه لم يبق له إلاّ أن يصوم بعدما تسلّط عليه ضربات العصا.

ولا يوجد أي إتصال بين مختلف القاعات كما لا يستطيع أي سجين أن يوجّه الكلمة إلى شخص آخر إذا لم يكن من نفس القاعة. إن سجينا له الحق أن يرى ولديه إلا أثناء عيد الفطر، وعيد الأضحى، وذلك بعد طلب مكتوب فقط موجّه إلى المديرة، فهذا الترتيب الذي كان مطبّقا منذ مدة طويلة، تمّ إلغاؤه إلاّ بعد خطاب دي غول لمّا تكلّم لأوّل مرّة بالجزائر الجزائريّة. وقليلا بعد هذه الفترة الزمنيّة للخطاب فقد حرّرت الحركات داخل اسجن المركزي كما كوّنت مكتبة تحتوي على بعض خمسمئة أجزاء. والحدث الأبرز ظهورا هو طرد الطبيب المعذّب. وكان الأشخاص كثيرو المرض يرفضون الذهاب إلى مصلحة التمريض، حيث كان العلاج الوحيد لدى هذا الطبيب هو إرسال السجين المريض إلى الزنزانة لعدّة أيّام. والطبيب الجديد، هو من ناحية الأزاس بفرنسا، كان رجلا طيّبا بصفة بالغة حيث كان يفحص حتى (200) فردا في اليوم، حيث لما تعب نقص من العدد.

ولحسن الحظ فإن بعض الوضعيات التي تمّت إلى الضحك تعيننا على مقاومة جوّ السجن. وقد حضرت ذات يوم منظرا بين المراقب الرئيسي، وحارس جزائري الذي وصل حديثا. وحين دخوله سأله المراقب : " ما هي أمتعتك ؟ (كلمة عامية بالفرنسية تدلّ على المستوى الثقافي أحيانا) فيجيب الحارس : ليس لي إلاّ هذه الحقيبة " ويعيد المراقب نفس السؤال ويسمع دائما نفس الجواب. وبعد بعض دقائق من الإلتباس يقول المراقب، وقد عيل صبره : " أريد أن أقول شهاداتك أي بكالوريا، أو شهادة التعليم المتوسط، أو ليسانس* ! " ويجيب الحارس وهو مشدوه : " السنة الثانية في التغذية ".

وفي فيفري 1960 علمنا من خلال الواصلين الجدد بأن مديرية سجن الحراش سمحت للمسجونين بإستلام الصحف، وذلك بأمر آت من السلطات العليا. وحين معرفة هذا النبإ شرع مختلف مسؤولي القاعات، في المساعي للحصول على تطبيق نفس الإجراء فرفضت هيئة الإدارة. وسرعان ما تقرر إضراب عن الطعام الذي طبّق من طرف جميع السجناء بإستثناء بعض المصاليّين. وفي بداية الإضراب قام المراقب أمامنا بخطاب أبويّ جدّا : " أنتم أولادي وإنّكم تريقون ماء وجهي أمام المديرة ! " وأجابه السجين الأقدام من مصلحة الحسابات : " إنّك تعلم بأنّنا قد إستمع إليك دائما غير أنه في هذه المرة إذا لم نتّبع الحركة كجميع الناس بماذا يصفوننا ؟ " فهذا المراقب قد فهم بدون شكّ وحتما موقفنا ولكن ذلك لم يمنع فعل الجنود بعد بعض الأيام، الذين أطلقوا الكلاب على السجناء، والكثير منهم تعرّضوا لعضّها على بطّات الساق، والكعبات، ولكن ذلك لم يثن من عزيمتهم.

ولابد القول بأنّ الأيام الأولى كانت صعبة، ومنذ اليوم الرابع فلا نحسّ قطّ بأي عطش حيث لا نأكل، وننام كثيرا غير أنّنا نستطيع المشي. إن الإنتصار كان شديد المكسب. وقد إستسلمت الإدارة في آخر اليوم الخامس عشرة. وأثناء (48) ساعة لم نأخذ إلاّ الحساء لنعوّد جسمنا مجدّدا على التغذية غير أنّنا كنّا سعداء. وقد كن مشتركا في جريدة (مرآة الرياضيات) و(فرنس كرة القدم) إلاّ أن هذه الجريدة الأخيرة قد تعرّضت للرقابة لأنّ فيها مقالة ذكرت فريق جبهة التحرير الوطني. وكتبت بسرعة إلى أخي من أجل إشتراك في جريدة " لوموند " وأسبوعا فيما بعد تسلّمت العدد الأول.

وفيما بعد أوقات قلائل صارى السجن المركزيّ مخيّما حقيقيا للعطل. وقد جهّزت عدّة مساحات للرياضة، وفي 1961 نظّمت بطولة

لكرة القدم مع عشرة فرق، مكوّنة من السجناء، والعمّال، وحتى المحكومين عليهم بالأعمال الشّاقة الذين كانوا أخيرا هم الفائزين. ووهب نائب المدير، الذين كان رياضيًا، للفريق الفائز خمس علب من السجائر.

وفي سنة 1960 لم تكن لدى عائلتي إلاّ موارد محدودة جدًا فقررت مساعدتها، وكنت أتقاضى من خلال عملي في مصلحة الحسابات، فرنكين إثنين يوميًا نظرا للإشارات الصفراء كسجين لم أتعرض أبدا لعقاب. وكانت الإدارة تسحب (10 %) فرنكا من عند أخي شهريا منذ إعتقالي، وإستطعت أن أحقّق إدخارا، وعند قرب رمضان تمكنت من إرسال حوالة صغيرة بمبلغ (500) فرنكا إلى ذويّ.

وأثناء السنة 1961، نظّمت محاولة فرار من طرف المحكومين عليهم بالسجن المؤبّد والذين إستطاعوا بلوغ جدار السور الحائط، فتسيير السجن المركزي تغيّر حينئذ. إن المحاسبين الذين كانوا يسكنون في المكاتب، عيّنوا في الكلمة. وكان لي من ذلك الوقت رفيقي، سي محمّد عبد اللطيف، وهو من مدينة الجزائر، والذي لم يذق أبدا طعام مطبخ السجن كما كان زيادة نباتيًا. وكنّا على حسن علاقة.

وتمرّ الأيّام سريعا، وبالأخص كنّا نتابع بآمال كبيرة المفاوضات الجزائرية — الفرنسيّة. وفي القاعات، كانت المناقشات حماسيّة، ولكلّ واحد فكرته الصغيرة الخاصّة بالمستقبل.

وفي شهر أكتوبر 1961، نائب المدير أخبرني بأنّي منحوني إجراء عفو مدة ستة أشهر. ووقع إطلاق سراحي في 4 ديسمبر 1961.



العودة القاسيّة للحريّة

وكنت السجين الوحيد الذي أطلق سراحه في ذلك اليوم، وقد جاء دركان وإثنان من الحركى، وهم مسلّحون بغاية التسليح، يبحثون عنّي في سيّارة. وحين الذهاب من السجن المركزيّ، أخذ السائق الدروب الملتويّة. وأمام حيرتي فإنّه طمأنني، حيث كانت المنظمة المسلّحة السرية (OAS) بعلم تسريحي، فخاطرت بحياتي، فهذا السفر المضني دام قرابة سبع ساعات، وكنت أثناءها أستعدّ مسبّقا لكلّ الإحتماعات. وكان مقصدنا مخيم بني مسوس. وهناك سجنت إلى غاية 20 جانفي 1962. ثمّ سرّحوني لمدّة شهر كعطلة، وذلك قبل الإلتحاق بتيزي وزّو من أجل تعيين مجبر بإقامة محروسة، وهو إجراء أخير قرّره وإلى عمالة مدينة الجزائر.

وفي 21 جانفي 1962 خرجت من المخيم ببني مسّوس رفقة سجناء كثيرين في شاحنة صغيرة. ولمّا وصلت إلى العنوان المذكور للسائق فلم أعرف حيّي، شاطوناف، وكان من اللازم أخذ طكسي ليقودني إلى باب منزلي فرأيت طفلا ذكرا صغيرا ينزل من شارع (كليير)، وكان إبني مصطفى، وعمره (12) سنة ونصف. إنّه تردّد ليسلّم عليّ بقبلة، ولعلّه لم يعرفني حقا كما وقع لي ذلك. وقال لي أنّ أمّه ذهبت إلى بين مسّوس، فقررت أن أنتظرها، إنّها وصلت نحو منتصف النهار وإعترفت لي وهي تقريبا تبكي، بأنّه ليس هناك شئ قطّ يؤكل. وهي أيضا تألّمت وصحتها السيئة بادية جليّا عليها. وما أدخرته من مال

قليل سمح لنا تحضير طعاما صغيرا، وقصت لي حينئذ الوضعية الصعبة التي كانت تتخبّط فيها منذ عامين.

ولحسن الحظ كان الجيران أمثال حاج قديري مختار، وأيضا حاج أرزقي تيليوين، يسلّمون لها كلّ شهر منذ عامين مبلغا محدودا من المال لتستطيع مواجهة الإحتياجات الأساسيّة. ولن أنسى أحدا من أهلي بالمصاهرة، عبد القادر نمشي، الذي كل يوم سبت، يأتي إلى زوجتي بقفة خضروات.

وحين رجوعي جاء جيران الحيّ ليزوروني، وكل واحد منهم قدّم لي المساعدة كما يقدرون عليها. وإذا الجوار كان له ر ّ فعل تضامن حارّ فخلاف ذلك هناك تاجر جزّار بعث فاتورته حين علم بتسريحي حيث كان ولدي محفوظ وعمره (15) سنوات، يشتري عنده رطلا من اللّحم، وذلك مسبّقا منذ عام على الأقل.

وفي تلك الفترة الزمنية كثيرة الإضطراب، قد شنت الشرطة أو المنظمة المسلحة السرية هجومات في الحيّ، وبعد عدّة عمليات إستنفار قررنا اللجوء إلى شقّة التي جعلتها جبهة التحرير الوطني تحت تصرّفنا بشارع (سيبيون) قرب ساحات (شارتر) أين نكون في مأمن. وهناك سمعت في الإذاعة بن خدّة، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، يعلن وقف القتال، ورغم هذا الإتفاق فإن المنظمة المسلحة السريّة تواصل الحرب بإغتيال المرضى على أسرة المستشفيات أو النساء كبيرات السن العاملات بالمنازل واللواتي يذهبن إلى عملهن. وقد طبّقت الجبهة الإتفاق بحذافره غير أنّ بعض المناضلين عال صبرهم أمام هذه العمليات الشنيعة فقرّروا ردّ الفعل، وذلك إلى غاية يم الذي رضي فيه مسؤولوا المنظمة المسلّحة السريّة بشروط شوق مصطفى ممثل الجبهة بالهيئة التنفيذيّة المؤقتة، فتوقفت الحرب حقيقة، ونحو

نهاية شهر مارس سلّمت لي بنت أخي، الآنسة ساسي، وهي عضو الكشافة، رسالة من طرف عمار أوصدوق ممثّل الحكومة المؤقتة. إنّه أتى من تونس وهو مكلّف بتكوين لجنة مالية التي مهمتها هي جمع المال لإعانة العائلات المحتاجة.

وكثيرا من أصحاب العائلات لا يعملون قطّ بسبب الأعمال الشنيعة من طرف المنظمة المسلحة (OAS). وكذلك فإنّ المجاهدين بالجبال، والسجناء الراجعين إلى الحياة المدنية لا يجدون أي مورد للمدخول.

ولقد عيّن فرحات بلمان وأنا بالذات تحت إدارة ربّاح لخضر، كمسؤولين بالتوالي على مناطق الجنوب، ومناطق الشمال لمدينة الجزائر. وقد وضعت مقرّي بشارع (مارنقو) رقم 18 عند التاجر في الراديوات، معروف ولد أخ لخضر، وأمّا بلمان إستقرّ ببلكور (بلوزداد)، وذلك في ماي، وجوان 1962.

وكلّ أسبوع نعقد إجتماعا بصفة عادية في مدرسة تحت رئاسة لخضر ربّاح، وكنّا نلتمس تبرعات لدى التجار أو الأشخاص، ولكن بالأخص فإنّ الإتاوة على البيع التجاري هي سمحت لنا بتجمع مال مساعدة للفقراء. وكلّ هذه عمليات البيع تخصّ التجارة، والفيلا، والعمارة أو شقة تباع من طرف الأوروبيين الذاهبين فكانت هذه العمليات تطبّق عليها (10 %). في كلّ أسبوع المنتوج الخاص بالتبرعات أو الإتاوات يسهم لرئيس اللجنة، ربّاح لخضر بالنسبة للمنطقة المستقلّة ذاتيا لمدينة الجزائر.

وأثناء هذه الشهور الثلاثة من المسؤولية باللجنة المالية تقاضيت أجرة (75.000) فرنكا، وذلك بإتفاق مع الرئيس، وحلّت اللجنة في 5 جويلية 1962 بعدما جمعت (250) مليونا. وهكذا إنتهى نضالي ضمن جبهة التحرير الوطني في الحرب.

إن الرياضة كانت حاضرة طيلة كل مراحل الحركة الوطنية الجزائريّة، وكنّا لا ننوي عيد الإستقلال دون تظاهرة رياضيّة. وكان الكثير منّا نشارك في هذه النظرية، منهم : المؤسف له جاوت أحمد، وجزولي مولود، ودريش براهم من المولودية، ومجبري بن عيسى رئيس (درّاجات الرياضة الإسلامية)، وبعض رياضيين آخرين من الإتحاد الرياضي الإسلامي الجزائري، فقرّرنا تبعا لهذا تنظيم مباراة ما بين منظمات كرة القدم.

ويوم (8) جويلية 1962 المباراة كانت في مقابلة بين مجموعتين مختارتين من مدينة الجزائر وفريق من القطاع الوهراني، وفريق من القطاع القسنطيني. وكان النجاح كبيرا، وما يقارب (20.000) متفرّجا حضروا هذين اليومين في الرياضة وقد كانت فيهما الفريق المختار الوهراني هو الفائز الكبير، والدخل الصافي كان مكوّنا من (12000) بطاقات الدخول مدفوعة المبلغ المالي، وكان قدره (36000) فرنكا فرنسيًا بالتقريب.

وبعد حصر الحالة الماليّة للمباراة، تقدّمت أما النقيب صادق باطل (الوزير المقبل للرياضة في عهد بن بلة) لأسلّم له رصيد هذه التظاهرة فعيّنني حينا بإسم جبهة التحرير الوطني مسؤول إعادة هيكلة الرياضة بالقطر الجزائري. ويعني الأمر بعث روح جديدة وسط النوادي الجزائرية من جهة، ومن جهة أخرى إنشاء رابطات جهويّة، والإتحاديات لمختلف الأصناف. إنّ دخل المباراة الآخرة سوف يستعمل لدفع منح للنوادي التي تتمنى إستئناف نشاطها.

ونحو منتصف شهر جويلية 1962، أي نفس يوم غداة محادثتي مع النقيب باطل أصدرت بلاغا في الصحافة للإعلان على تعيين مسؤول وطني على الرياضة، وعلى مقر المكتب واقع بالمحكمة بشارع (بروس)

رقم 10، في مدينة الجزائر. وشيئا فشيئا تكوّنت نواد بكلّ من وهرا، ومدينة الجزائر، وقسنطينة، وإنعقد مجلس في كل ناحية لإنتخاب مكتب. وكل لجنة بادرت بالعمل لتنظيم اللجان الخاصّة بالقانون، والتأهيلات.... الخ.

إن الرؤساء المنتخبين على رأس رابطة كرة القدم كانوا : السيد عبد لالي، للقطاع الوهران، والسيد جاوت أحمد لقطاع مدينة الجزائر، والسيد لفغون للقطاع القسنطيني. ثمّ كلّ رابطة يجب عليها أن تعيّن ثلاثة أعضاء ليكونوا في المكتب الفدرالي. وهذا المكتب مكوّن من (15) عضوا، وتسع رابطات، وستة أعضاء الذي أعيّنهم أنا بنفسي. وكانوا : الدكتور معوش، والمهندس عبد القادر زيلك، وبن صيام بن يوسف، وهو الرئيس السابق لفريق حسين داي، وهو أيضا مناضل نشيط من جبهة التحرير الوطني وكسول، المحامي بالمحكمة، والكاتب العام للإتحاد الرياضي الإسلامي للبلدية، والسيد تكارلي، وهو القاضي سابقا لمدينة الجزائر. وحقوقي، وعلامة.

وقد أسّست إتحادية كرة القدم ولكن طرحت مشكلة الرمز، وإقترحت " الإتحادية الجزائرية لكرة القدم (F.A.F)، ورغم بعض التحفّظات التي تأخذ ذريعة وجود منظمة الأقدام السوداء التي لها نفس الرمز (جبهة الجزائر الفرنسي F.A.F). وأخيرا قبل رمز (F.A.F)، وتكلّفت بتحضير الإنخراط في الإتحادية الدوليّة. وإنطلقت البطولة الجهويّة في 19/09/1962، وكلّ رابطة كانت الآن سيّدة في أيّام مصيرها.

ولقد وليت إهتماما حينئذ للإتحاديات الأخرى الرياضيّة، وإذا بالنسبة للملاكمة والدّراجات اللتين كانتا كثيرة الشعبيّة في القطر الجزائري، فإن النوادي كانت كثيرة وإستطاعت بسرعة إستئناف

نشاطها، ولكن خلافا لذلك كان الأمر أصعب بالنسبة لبعض الأصناف، مثل التنس الذي كان إلى حدّ الآن مخصّص للأوروبيّين، أو السباحة بسبب قلة الأحواض.

إنّ العزائم كانت كبيرة بقصد إعطاء تحفيزا " للجودو " لأنّ نواد كثيرة كانت تحاول التكوين، أو لرياضة السيّارات غير أنّه خلافا لذلك فإن بعض الأصناف كانت غائبة تماما مثل كرة اليد (هند — بول)، والرياضة البدنيّة، والمجدف، والمصارعة الحرة، والمصارعة الإغريقية — الرومانية، ورياضات الخيل، أو كرة السلّة. وكنّا على كلّ حال مفعمين بالحماس إزاء المهمّة، كما كانت الإرادات الطيّبة عديدة. وكثيرا من الأصدقاء كانوا مساعدين لا يعرفون الكلل أمثال : آيت أومزيان مزيان الذي ليس لديه معرفة وفيرة عن الرياضة إلاّ أنّه يسيح عبر القطر الجزائري بسيّارته الخاصّة لإعانة تكوين مختلف الرابطات، وهو يملك مستوى عال من التعليم فيتكلّف بكلّ المراسلة مع الرابطات، والنوادي، وجزولي مولود الذي هو المنظّم الأساسي لمباراة الإستقلال كما هو مدار القضيّة الخاصّ بهيكله الرابطات، وإتحاديات كرة القدم، وسي رابح برهيتي، وهو مفتّش بمصلحة البريد سابقا، وحقوقي ذو كفاءة فكان مصمّم قانون الإتحادية الجزائرية لكرة القدم مع جزولي مولود. وهما اللذان رفضا منصبين إقترحتهما عليهما في المكتب الفدرالي، فسي رابح من أجل مواصلة العمل على القانون، وسي مولود من أجل متابعة ناديه، المولودية.

ونحو آخر شهر جويلية، ناداني الرئيس بن خدّة إلى دار عمالة مدينة الجزائر. وبعدما قبّلني بحماس إعتذر عن النسيان، فطلب منّي أن أذهب إلى وهران من أجل الإستخبار لدى سويح هواري على الوضعية في المدينة. وبرفقة صديقي آيت أومزيان تردّدت على منزل سويح بحي

الحمري. وكان في محاضرة مع حاج بن علاّ، وبوعلام موساوي. ولمّا أخبرته بالمهمّة، فإنّه وافى إلى علمنا أن مدينة وهران كانت تحت أوامر مجموعة تلمسان، وهي بيد العمِيد شاذلي. وفي نفس المساء عند عودتنا إطّلعت بن خدّة على مهمتي.

وفي فيفري 1963، عدت من جديد إلى وظائفي في إدارة الضرائب، وعيّنت في منصب رئيس التفتيش بالأبيار، وقبل هذا قد تسلّمت إستدعاء من طرف المحامي حاج سعيد نائب المدير العام للماليّة، هو صديق قديم، وعضو حزب الشعب الجزائري، وقد إلتحق بحزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري سنة 1946 وشارك في إنتخابات المجلس التأسيسي الثاني. وفي تلك الفترة كنت أعتبر هذا التصرف كخيانة، وعبرت له عن ذلك حينئذ، رافضا مصافحته أثناء لقاء عند الصيدلي بن حبيلس. ولم أستطيع من أن أشعر ببعض التردّد لإجابة الإستدعاء. وأخيرا تردّدت إلى قصر الحكومة مع كثير من الحيرة.

لمّا علم بوصلي، جاء حاج سعيد فورا إلى لقائي، وحياني بحماس، ويبدو أنّه مغتبط برؤيتي وأمّا أنا فكنت قليلا في حرج بسبب تصرّفي الماضي. وبعد أن قدّم لي قهوة فإنّه إقترح عليّ منصب مفتّش الضرائب نظرا لأقدميتي. وتعجّب لمّا رفضت، وكنت أخشى أن لا تكون لي كفاءات ضروريّة. وتحت الإدارة الفرنسيّة كانوا يشترطون مستوى جامعي، وسنتين من الدراسات بمدرسة الضرائب في مدينة (بوردو- فرنسا) من أجل الوصول إلى هذه المرتبة. وصاح حاج السعيد مخيّبا قليلا، ولكن صافحني وطلب مني أن أذكّره إذا غيّرت رأيّ، ورغم هذا الرفض عيّنت فيما بعد ببعض الأيام، في منصب التفتيش، وكانت لي مسؤولية القطاعات التالية : بوزريعة، و(إيردي فرنس)، ودالي إبراهيم، والأبيار.

وفي الوقت الذي شرعت في وظيفتي قرّرت الحكومة التي تمّ تكوينها حديثا، سلسلة من الإجراءات ومنها إجراء فيما يخصّ الأوروبيّين الذين يغادرون البلاد : فكلّ أوروبيّ يستوجب عليه أن يقدّم تبرئة مالية عند الخروج من القطر. وسرعان ما تكوّنت سلسلة هامّة أمام محلات الضرائب الكائنة بشارع (هنري مارتين). وأثناء تقريبا شهرين كنت أستقبل حتما كلّ يوم هؤلاء الذين دفعوا الضرائب.

– وفي بداية سنة 1963 نظّم مكتب العمل الإجتماعي لمدينة الجزائر تظاهرة صغيرة بمناسبة إعادة فتح مأوى المسنّين بدالي براهيم، فوجهت الجمعية دعوة إلى عدّة شخصيات، ومنهم الرئيس بن بلة الذي إنسحب مسرورا جدّا بعشيته بعدما خالط الشيوخ من النساء، والرجال وتحدّث معهم.

– وقرابة (15) أيّام بعد هذا الحدث، إستدعى الكاتب العام لمكتب العمل الإجتماعي، وهو فرنسي، المجلس الإداري ليخبره بأن رئاسة الجمهورية (بفيلا جولي) نادته لسحب علبة كبيرة من الكاغط المقوى. وهذه العلبة تحتوي على (200.000) فرنكا فرنسيّا، فالإستدعاء كان سببه أن يتقبّل المكتب الهبة حتى يستطيع أن يسجلها في الحسابات.

وأثناء هذا الإجتماع، إقترح براهم بن صيام، عضو المكتب الإداري بالعمل الإجتماعي، في يوم التدشين الخاصّ بملجئ المسنين بسيدي موسى الذي كان على وشك لإنتهاء، بأن لا ينبغي أن ننسى إستدعاء بن بلّة، الذي جاء وكان مسرورا دائما بعشيته. وبعد بعض الأيّام نفس سيناريو وقع فذهب الكاتب لمكتب العمل الإجتماعي إلى نفس العنوان يأخذ علبة تحتوي على (500.000) فرنكا أو (50) مليون سنتيم.

- في أول ماي 1963، بصفته رئيس مجلس الإدارة لشركة النقل العمومي (R.S.T.A) وجه لي إستدعاء لحضور مسيرة العمال، فكل أصناف العمال شاركوا أمام المنصّة الشرفيّة أين كنت بجانب الرئيس. كلّ النقابات صفّقت إلاّ نقابة حرّاس السجن. وحين رأى الرئيس هذه الكتلة من العمال نهض سريعا من كرسيّه ليصيح في وجههم بصوت عال : سوف يوجد قطّ سجن، ولا أسير، فالمسؤولون هذه النقابة رجعوا محتشمين.

- وبعد زمن لاحق زار بن بلة سجن البليدة من أين هرب سنة 1952.

ونحو نهاية سنة 1962، إستدعاني والي ولاية مدينة الجزائر لمنصب نائب رئيس اللجنة الإجتماعية لمدينة الجزائر. وكان رئيسها السيد بلمان، وقد وجدت من جملة أعضائها : بن صيّام، وربّاح لخضر، فاللجنة كانت مكلّفة بإعانة الفقراء وأيضا الإشراف على إطعام ملجئ الشيوخ بدالي – براهيم.

وموازاة مع عملي، ومشاركتي في مكتب العمل الإجتماعي لمدينة الجزائر، قد عيّنت من طرف والي ولاية مدينة الجزائر، كرئيس مجلس إدارة شركة النقل العمومي (R.S.T.A) وقمت بهذه الوظيفة إلى غاية 1972، وهي وظيفة تطوعية.

وقد حضرت كمتفرّج، نهاية نظام بن بلّة وتنصيب بومدين في السلطة. وفس سنة 1968، شرع في حملة إعادة تنظيم جبهة التحرير الوطني، وعيّنت كعضو اللجنة المدعوة لفحص كل الإنخراطات التي تقدّمت منذ 1963. وكثيرا من المناضلين دون إنتساب أبعدوا من الحزب. وفي شهر ماي 1969 تمّ إنتخابي في مجلس الولاية الأول، رغم

التصويت المكثّف للمناضلين لصالح متراشحين آخرين، والفائزون في الإنتخاب تمّ إستدعاؤهم قرابة عشرة أيام فيما بعد إلى مقرّ الحزب بشارع (بروس) من أجل تعيين رئيس المجلس. وعلى الساعة الخامسة بعد الزوال ناداني المحافظ سي عبد الحفيظ ليعلمني بأنّهم إختاروني بإسم مجلس المحافظة، وتعجبت وكدت أشتكي من الفعل حيث لم يستشرني أحد، فصرّح لي عبد الحفيظ بأنّني مناضل فينبغي الطاعة لأوامر الحزب. وإستسلمت أمام هذه الحجة، وأنا متوتر الأعصاب ومتأثر فأخذت وظيفة رئيس المجلس العام لمدينة الجزائر، تلك الوظيفة التي شغلها كلّ من (لاكيير)، وفارس، و(بلعيش)، فكنت في الواقع المترشح الوحيد حيث أعضاء المجلس لم يتسلّموا إلاّ ورقة واحدة للتصويت على إسمي. وفزت في الإنتخاب بإجماع إلاّ صوت واحد بلا وهو صوتي. وأثناء كل مدة الإنتداب كان من اللازم القيام بمهمتي في ظروف جدّ صعبة. إن الظروف الماديّة لم تكن بعد مستعدّة، وكذلك الظروف الشخصيّة حيث الأعضاء، على كلّ حال الأكثرية منهم، يجهلون دورهم في هذا المجلس. إن اللجان كانت معيّنة إلاّ أن المقرّرين لم يكن عددهم كافيا. ولا ذات كفاءة للقيام بمهامها. إثنان من المندوبين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، ومن جملة النسوة الستة، أعضاء المجلس، شاركت واحدة في المناقشات، وكان لها تعليم إبتدائي – والنسوة الخمس الأخريات لم تتناولن قطّ الكلمة أثناء السنوات الخمسة من إنتدابهن.

وعلى الخمسين من الأعضاء الذين يكوّنون الجمعية، قرابة العشرة فقط يشاركون بالفعل في الأشغال، وأمّا الآخرون فيحضرون الإجتماعات دون فهم المعنى الحقيقي للدور الذي ينبغي أن نلعبه.

وأثناء رئاستي شاهدت والين، الأول هو حاج يعلا الذي وجدته

مسبّقا، وكان جدّ ذكيا كما كان يتمتع بذاكرة قوية للغاية. وقد غادر سريعا هذا المنصب لولاية قسنطينة. والثاني هو العميد أوفمان.

وإتّخذت تقاعدي السياسي مع المجلس الثاني للولاية، وهكذا أنهيت نشاطي ضمن الحزب، وكان عمري (67) سنة.

بدأته بباريس في 15 فيفري 1986

وإنتهيت منه بالأبيار في 20 جوان 1987

أثناء المجلس الوطني لكرة القدم المنعقد البارحة
"إن نشاطنا يرمي حتما نحو رياضة جماهرية"
حرص الأخ صادق باطل، عضو اللجنة المركزية
ونائب كاتب الدولة للشبيبة والرياضات

Au cours du Conseil national de football tenu hier

«NOTRE ACTION DOIT TENDRE VERS UN SPORT DE MASSE»

a insisté le frere Sadek Batel, membre du Comite central
et sous-secretaire d'Etat a la Jeunesse et aux Sports



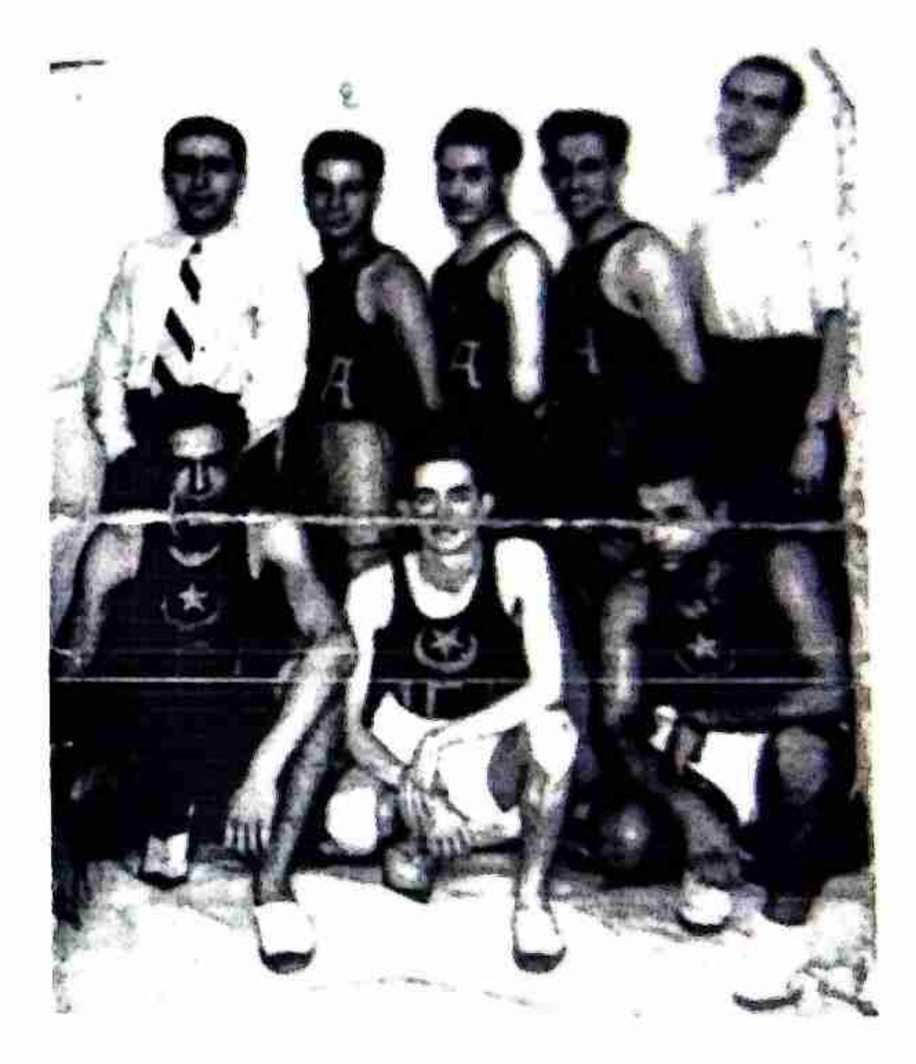
LE NOUVEAU BUREAU

Samedi à E' Harrach

تصريح السيد صادق باطل
نائب كاتب الدولة للشبيبة والرياضات 1962



عسلة حسين



الواقفون : تمّام عبد المالك - باشترازي أمحمّد -
بوعلام -تونسي عليّ - عبدون
القاعدون : حمودي علال (الملقّب علال الموهيب) -
دحمان سيد أحمد - ولد موسى السعيد.



عبدون، أوعمارة رشيد، طالب محمّد



جنازة عسلة حسين سنة 1948



لعجالي السعيد



صورة بالسجن المركزي لبرواقية سنة 1961



تواتي سي لونياس فرع النقل
العمومي T.A



طالب محمّد
عضو مديرية
(ENA-PPA-CARNA)
توفي سنة 1952



مسعودي عمر
عضو خلية
منذ 1934



زاوي عليّ
عضو خلية النقل العمومي
(CFRA) متوفى



صورة بالسجن المركزي لبرواقية سنة 1961

SECURITE GENERALE
DE L'ALGERIE
VILLE D'HUSSEIN-DEY
CABINET
du COMMISSAIRE de POLICE

Attestation

Nous soussigné Commissaire de Police d'HUSSEIN-DEY certifions que le Dimanche 28 janvier 1934 au Stade du Jardin au Caroubier, l'équipe 1re du Mouloudia Club Algérois qui devait matcher ce jour-là, au dit lieu avec la Société U.S.B., se composait de 10 joueurs indigènes et d'un Européen.
Vu les instructions Préfectorales du 9 Janvier 1934, avons prescrit au Capitaine de l'Equipe de se conformer à ces instructions et à mettre 4 joueurs Européens dans son équipe de façon qu'elle se compose de 4 joueurs Européens et de 7 joueurs indigènes.
En notre présence et de celle de l'arbitre, la rectification a été faite immédiatement et le match a commencé aussitôt.

HUSSEIN-DEY le 29 Janvier 1934
Le Commissaire de Police
[signature]

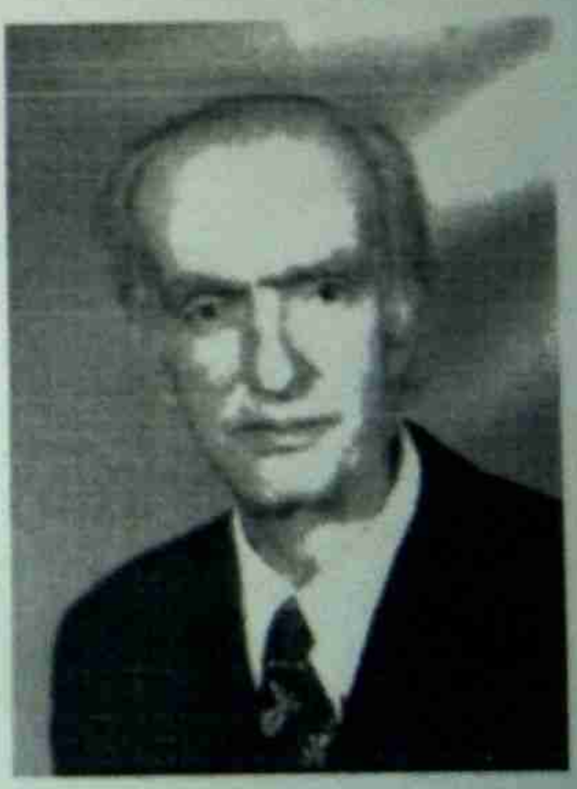
شهادة السلطات الفرنسيّة لفرض أربعة لاعبين
ضمن فريق كرة القدم



مزغنة أحمد



فلتية أحمد
عضو مديرية النجم وحزب الشعب،
وعضو بالكرنا.
سافر إلى ألمانيا لدراسة إستعمال
الأسلحة حكم عليه بثلاث سنوات
سجن في 1943



زهوان محمّد عضو حزب الشعب
الجزائري، طرد منه بسبب إنتمائه
للكرنا



دشوك مصطفى
ولد في 4 أوت 1910 بمدينة الجزائر



أوعمارة محمد الملقب رشيد
عضو المديرية التابعة
إلى :ENA-PPA-CARNA



طرابلسي حسان
عضو خلية T.A. -ENA



لعمراوي محامد
عامل بالنشر، مكلف تقنية الجريدة السرية "العمل الجزائري" ومسؤول عليها. كان يعمل جريدة (ألجي ريبوبلكين)



بن توري محمد طاهر
بائع خضروات
مناضل نجم الشمال الإيفريقي منذ 1943 إلى وفاته



فريق الإتحاد الرياضي الإسلامي لمدينة الجزائر
USMA سنة 1942



فريق الرياضة البدنية
التابع إلى : A.G.V.G.A سنة 1943



صورة لسنة 1940 مناضلون من القصبة :
طالب محمّد، أو عمارة رشيد، مسطول وعبدون



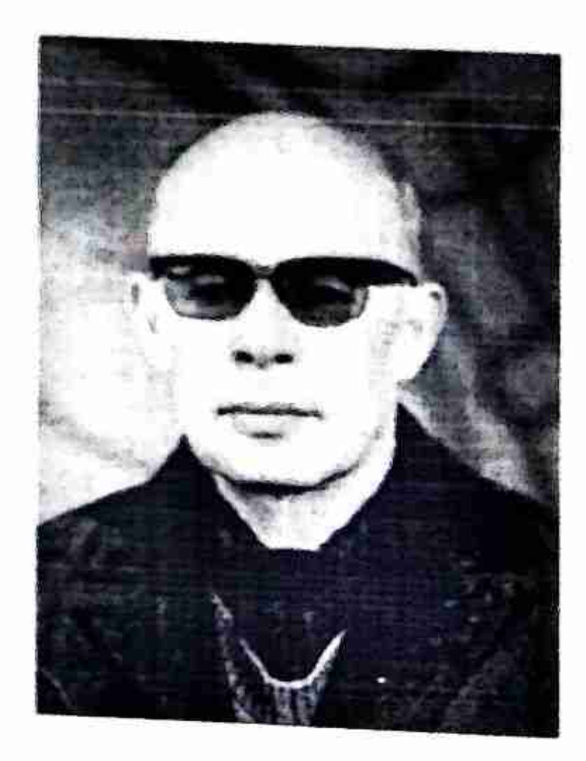
عبد الحميد سيد عليّ
عضو حزب الشعب الجزائري
عضو منتخب في اللجنة المركزية
وكاتب نائب في المديرية



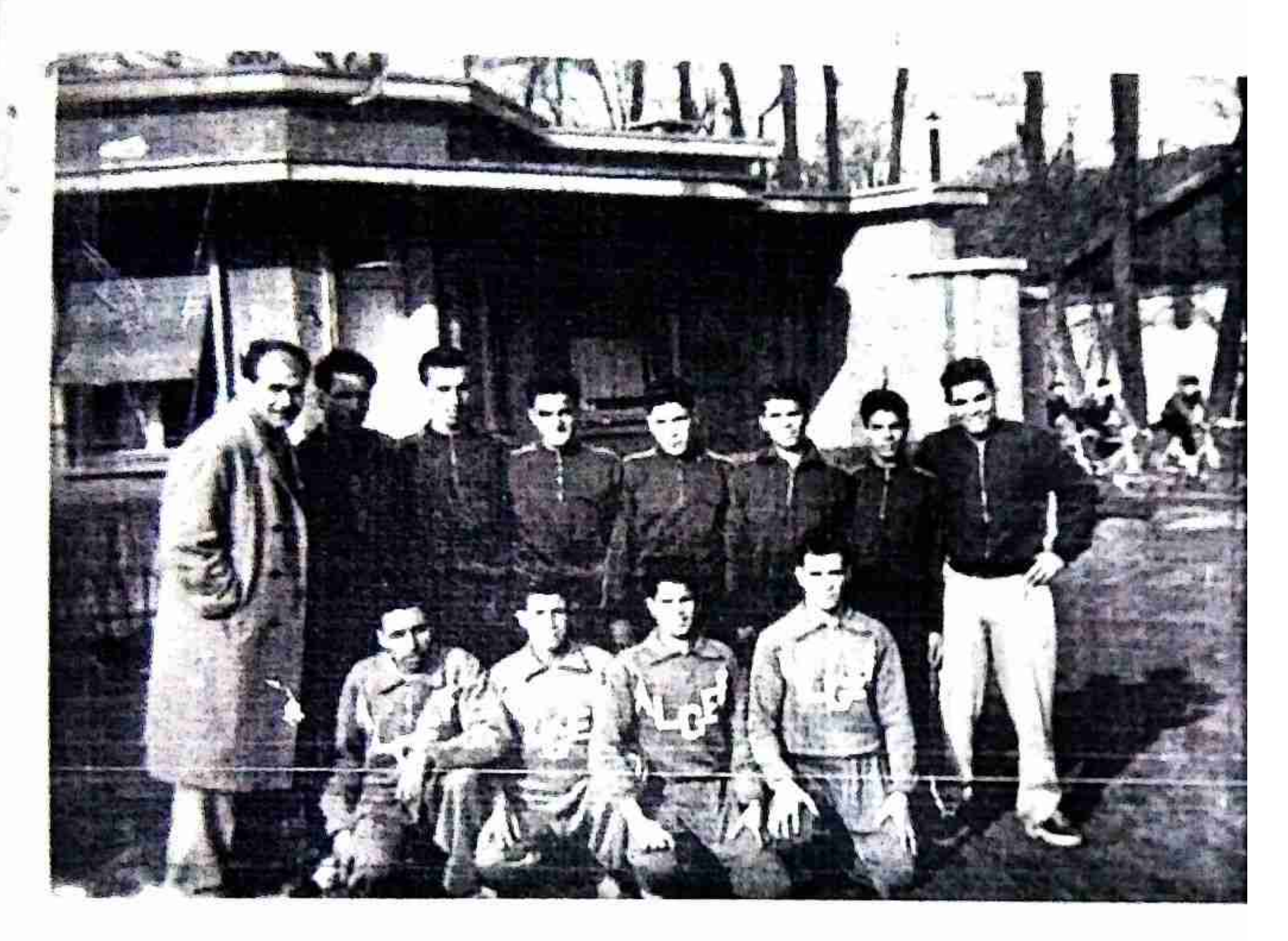
بوصام محمّد
عضو خلية النقل العمومي
(السكك الحديدية لناحية مدينة
الجزائر 1933)



حسين لحول
عضو الحركة الوطنية
ENA-PPA-MTD



خليل عمر
عضو مديرية حزب الشعب
من 1937 - 1947

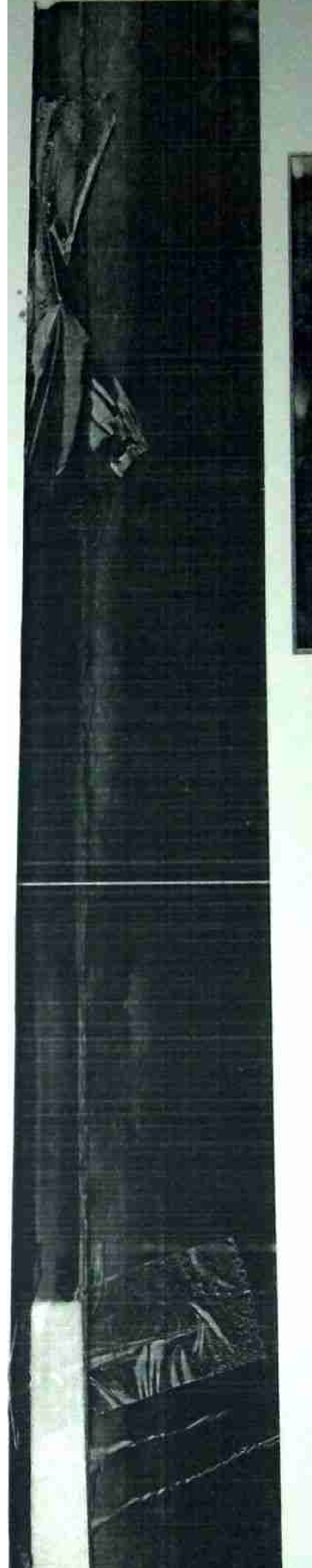


فريق الشباب للمولودية
بطولة فرنسا -مارس 1954 فينسانس
فريق المولودية لكرة السلّة 1942



المولودية
فرع كرة السّلة

الفهرس





محمود عبدون

ولد سنة 1913 بدلس (ولاية بومرداس) - وسنة 1936 كان أمين مال لفرع نجم الشمال الإفريقيّ - وكان عضو المولودية، وعضو فرع كرة السلة (1942) - وكان عضو حزب الشعب الجزائري - حركة إنتصار الحريات الديمقراطية - كان عضو جبهة التحرير الوطني، مكلّف بالمالية، وبتنظيم جمع الأموال بمدينة الجزائر أثناء الكفاح التحريري (1957-1956) -وقدألقي عليه القبض عدّة مرّات من طرف الشرطة الفرنسيّة فعرف التعذيب، والسجون، ومخيمات الإيواء - وحين الإستقلال، عاد مجدّدا إلى الخدمة في الرياضة، وتنظيم الماليّة، والشؤون الإجتماعية.

ISBN 9961-61-263-9

